عين المدينة

مجلة نصف شهرية مستقلة / العدد 63 / 16 كانون الأول 2015

عيون داعش في أورفا

لقاء مع طلاس السلامة قائد «أسود الشرقية»

هل تبيع داعش النفط لتركيا وللنظام؟

الجيش السوري الحر

تصميم الغلاف: يارا النجم

3ayn-almadina.com
facebook.com/3aynAlmadina

الافتتاحية

معالم الصراعات الأهليّة في التدخل العسكريّ الروسيّ

دأبت روسيا، منذ اصطفافها إلى جانب بشار الأسد، على التصريح بأن موقفها على العموم هو مساندة الأنظمة الشرعية المعترف بها، وأن سياستها في سوريا تهدف إلى الحفاظ على الدولة في مواجهة خطر تفككها على يد «الإرهاب» ووقوع البلد في حرب أهلية طويلة المدى.

هذه ليست الذريعة الكاذبة الأولى للحكم الاستبداديّ الروسيّ، ولن تكون الأخيرة، خاصّةً بعد توجيه قذائف طائراته إلى مقاتلي الجيش الحرّ، وإلى البنية التحتية للمناطق المحرّرة وشرايين بضائعها وإغاثتها ومحروقاتها، بزعم مفضوح عالمياً هو محاربة داعش؛ غير أن تأملاً في بعض جبهات التدخل الروسيّ ومفاعيله ربمًا يعطي صورةً أوضح عن مدى الرغبة الحقيقية للروس في الحفاظ على «الدولة».

نستعرض هنا ثلاث جبهاتٍ، أبرزها وأكثرها سخونةً هي ريف حلب الجنوبيّ، الذي يشهد تركيزاً مكثفاً ومستداماً للقصف الروسيّ ممهداً للتقدّم على الأرض. والحقّ أنه في حسابات النظام ربما كانت هناك جبهاتٌ أخرى في حلب أكثر جدوى وذات نتائج أهمّ، ولكن الزخم الإيرانيّ الضاغط باتجاه فك الحصار عن كفريا والفوعة هو ما فرض أولويةً هذه المعركة الطويلة والمكلفة، وهو ما يمكّن قاسم سليماني، الذي نشرت صوره هناك مراراً، من تغذية حماس الميليشيات الطائفية التي يقودها بهدفٍ محفزٍ هو تحرير إخوانهم الشيعة.

وعلى جبهةٍ أخرى شهدنا، منذ أسابيع، دعم الطيران الروسيّ محاولة تقدّم قوات حزب PYD الكرديّ، مع حلفاء شكليين آخرين، في محيط مدينة اعزاز بريف حلب، على الحدود التركية، حيث تبدو أبرز معالم الصراع قوميةً، فضلاً عن الأهمية الاستراتيجية لهذه المنطقة في إمداد المناطق المحرّرة.

أما في ريف اللاذقية فقد دفعت المقاتلات الروسية تركيا إلى الحديث، وبقدرٍ غير مسبوق من الجدية، عن استهداف التركمان، وحشد الرأي العام التركيّ وراء حكومته عند إسقاطً الطائرة الروسية مؤخراً، بل الكلام عن متطوّعين ربما يتدخلون لمساندة إخوانهم التركمان.

هكذا هي إذن بعض أبرز معالم التدخل الروسيّ للمحافظة على «الدولة السورية»؛ تغذية الصراع السنّي الشيعي، والعربي الكردي، والتركماني السنّي في مواجهة جوارٍ من العرب العلويين!

يستطيع الأقوياء الكذب بوقاحةٍ بالفعل... ولكن إلى حين.

5-4 هل تبيع داعش النفط لتركيا وللنظام؟
7-6 عيون داعش في أورفا
8 التجنيد في صفوف داعش
13-12 لقاء مع قائد «أسود الشرقية» طلاس السلامة
15 كل الدروب تؤدي إلى الرياض
17-16 أبجدية الشهود الصامتين
18 ليس الأسد، المجالس المحلية هي الرد على داعش
19 أربعة أيام من حزن دريد الأسد

في سبيل الحلّ السياسيّ.. مزيدٌ من المؤتمرات والاجتماعات

هيئة التحرير

على مدار الأيام الماضية شهدت مختلف المناطق المحرّرة سلسلةً من المجازر راح ضحيتها مئات المدنيين، في الغوطة وأرياف إدلب وحلب واللاذقية وحماة، نتيجةَ تصاعد حدّة قصف الطائرات الروسية التي ازداد معدّل غاراتها الهمجية بعد مؤتمر فيينا وإسقاط الأتراك مقاتلةً روسيةً قرب الحدود. وبالتوازي مع تلك الجرائم تصاعدت وتيرة الحراك الدبلوماسيّ بين المسؤولين الدوليين استكمالاً لمتطلبات خارطة طريق مؤتمر فيينا الأخير.

مؤتمر الرياض والتحضير للمفاوضات

لم يكن ردّ الفعل الروسيّ على انعقاد مؤتمر المعارضة السورية الذي احتضنته العاصمة السعودية مستغرباً، إذ انتقدت الخارجية الروسية مقرّراته وشككت في أنه يمثل جميع أطياف المعارضة. فيما سبق أن صرح نائب وزير الخارجية الإيرانيّ، حسين عبد اللهيان، أن المؤتمر سيُفشل محادثات السلام في فيينا. وتبدو هذه التصريحات متناغمةً مع السياسة التي ينتهجها معسكر الدول الداعمة للأسد، خاصّةً وأن المؤتمر حقق تطوّراً لافتاً على عدّة مستويات. إذ جاءت دعوة السعودية لممثلين عن أبرز الفصائل العسكرية العاملة على الأرض ممن تدرجهم موسكو على قائمتها الخاصّة بالإرهاب، واتفاق الحاضرين -بمن فيهم الائتلاف الوطنيّ وهيئة التنسيق- على مقرّرات المؤتمر؛ كأولى النقاط التي تتعارض مع موسكو التي تراهن على عدم قدرة المعارضة السياسية على التوحد، فضلاً عن إنكار روسيا وجود الجيش الحرّ أو الفصائل المعتدلة في سوريا، بحسب تصريحات مسؤوليها. فيما لم تكن مقرّرات المؤتمر بعيدةً عن مطالب معظم السوريين، ومنها الاتفاق على بند رحيل النظام ورموزه، والدعوة إلى قيام دولةٍ مدنية، فضلاً عن تشكيل الهيئة العليا للمعارضة، المكوّنة من 34 عضواً، تمهيداً لإعداد وفدٍ يمثل المعارضة والثورة في المفاوضات المزمع عقدها مع النظام مطلع العام القادم. وبطيّ ملف الوفد التفاوضيّ، ودخول الفصائل العسكرية على خط التمثيل السياسيّ «المعتدل»؛ أشار العديد من المراقبين إلى أنّ هذه الخطوات تصبّ في صالح تدعيم ثوابت الثورة في ظلّ المحاولات الروسية لعرقلة ما من شأنه أن يسرّع تنفيذ خارطة فيينا. بينما أعطى تمثيل الفصائل العسكرية في المؤتمر والهيئة المنبثقة عنه شرعيةً لوجودها، في هذا التوقيت الذي سيشهد -في الأيام القليلة القادمة- إعلان الأردن عن قائمةٍ تصنّف المنظمات الإرهابية في سوريا، تزامناً مع استحقاقاتٍ ديبلوماسية كثيرةٍ مقبلة، يبدو أنّ الدول الأساسية الفاعلة في الملف السوريّ قد رتبت أوراقها لها.

المشاكل العالقة

بالتوازي مع مؤتمر الرياض اتجهت جهود وزير الخارجية الأمريكيّ، جون كيري، إلى محاولات التوفيق بين الأطراف الدولية حول المضيّ قدماً في تنفيذ مقرّرات فيينا. إذ التقى كيري بالرئيس الروسيّ لإقناعه بالموافقة على استصدار قرارٍ غير ملزم من مجلس الأمن يصادق على مقرّرات مؤتمر فيينا وأهمها -من وجهة النظر الأمريكية- بدء العملية التفاوضية بين المعارضة والنظام، ووقف إطلاق النار تزامناً مع ذلك. وجاء هذا عقب اجتماع وزراء خارجية دول أصدقاء الشعب السوريّ في باريس الذي تناول الخطوات المرتقبة القادمة. لكن، ورغم الدور «الوسطيّ» الذي تلعبه واشنطن تجاه هذه القضية في هذه المرحلة، طفت على السطح مجدداً مشكلتا رحيل الأسد وتصنيف الجماعات الارهابية، خاصّة وأن الموقف الروسيّ والإيرانيّ لم يتزحزح عن دعم النظام واعتباره حكومةً شرعية، وهذا ما أكدته تصريحات وزير الخارجية الروسيّ، سيرغي لافروف، الذي قال إن روسيا ترفض تنحي الأسد، في حين خرجت تصريحات الخارجية الإيرانية لتتهم الفصائل العسكرية المشاركة في مؤتمر الرياض بأنها مرتبطةٌ بتنظيم داعش، في إشارةٍ إلى رغبةٍ واضحةٍ من معسكر داعمي الأسد في عرقلة أيّ قراراتٍ دوليةٍ لا تصبّ في صالح النظام وروسيا وإيران. وبالمقابل، شدّدت السعودية، على لسان وزير خارجيتها عادل الجبير، على ضرورة رحيل الأسد الذي «بات أمام خيارين، فإما الرحيل عبر المفاوضات مع أطراف المعارضة أو أن يتمّ إسقاطه بالقوة».

على ضوء ذلك؛ يصعب التأكد من واقعية ما سينبثق عن الاجتماعات الدولية القادمة، لكن ما هو مؤكدٌ أن السوريون سيودّعون عاماً جديداً وما تزال جرائم النظام وحلفاؤه مستمرّة.

هل تبيع داعش النفط لتركيا وللنظام؟

أحمد مهيدي

تداولت وسائل إعلام عربيةٌ وعالميةٌ مؤخراً موضوع بيع تنظيم الدولة الإسلامية (داعش) النفط للنظام ولتركيا. جاء ذلك عقب اتهام الروس للأتراك بشراء النفط من التنظيم، وتقرير وزارة الخزانة الأمريكية، الصادر في 25 تشرين الثاني المنصرم، والذي أدرج رجل الأعمال السوريّ جورج حسواني على قائمة العقوبات لدوره كوسيطٍ في صفقات شراء النظام النفط من داعش. لم تقدّم هذه التقارير أيّ معلوماتٍ عن آلية البيع وكميات النفط وسعره، واعتمدت على تقارير الخزانة الأمريكية والاتحاد الأوربيّ باعتبارهما جهتين رسميتين لهما مصادرهما الخاصّة. ولكن هل تبيع داعش النفط للنظام ولتركيا حقاً؟

قبل سيطرة التنظيم على دير الزور، المصدر الرئيسيّ للنفط السوريّ، كان الإنتاج يستهلك في الدير نفسها وفي الرقة وحلب وإدلب والأرياف المحرّرة في الشمال السوريّ، بالإضافة إلى كمياتٍ من المازوت المكرّر محلياً كانت تصدّر بطرق تهريب بدائية. لا توجد أيّ تقارير عن كمية الإنتاج في فترة ما قبل سيطرة داعش باستثناء دراسةٍ قصيرةٍ أعدّها صالح الحموي، القائد السابق في جبهة النصرة، خلصت إلى أن الإنتاج كان يقارب 50 ألف برميل يومياً. وكان النفط الخام يباع بالليرة السورية بأسعارٍ مختلفةٍ تتراوح بين 4–7 آلاف ليرة للبرميل، بحسب جودة النفط. أما برميل المازوت فكان يباع بـ8 آلاف ليرة. «كانت تجارة النفط وقتها عشوائيةً وتلبي احتياج السوق وزيادة»، بحسب صاحب كازيةٍ بريف دير الزور الشرقيّ. يضيف: «كانت كميات الإنتاج، قبل سيطرة داعش، أكثر من احتياج السوق. والدليل أن الكمية كانت تتأرجح بسبب توقف آبارٍ عن العمل بسبب خلافاتٍ عشائرية، ولم يدخل حقل العمر في الإنتاج حتى فترةٍ قريبةٍ قبل دخول التنظيم؛ ومع ذلك كانت الأسعار ثابتةً تقريباً والكمية متوافرة».

النفط بعد دخول التنظيم

احتكر التنظيم بيع النفط في الشرق السوريّ لصالحه، وفرض على التجار شراءه بالدولار الأمريكيّ، وحدّد أسعاره بين 45–25 دولاراً للبرميل، بحسب الجودة أيضاً. ووفق البحث الذي نشرته مجلة «عين المدينة»، وتقارير الفايننشال تايمز البريطانية، والوثائق المسرّبة التي نشرتها قناة الجزيرة مؤخراً عن إنتاج النفط لدى داعش؛ يبلغ المعدل الوسطيّ للنفط المنتج يومياً 50 ألف برميل. «تبيع داعش النفط للتجار، فيقومون بنقله وبيعه لمصافي التكرير بحسب مناطق عملهم»، يقول شابٌّ يعمل في إحدى مصافي قرية ذيبان القريبة من حقل العمر. ويضيف: «ازداد الطلب على النفط بعد سيطرة التنظيم، حتى صرت ترى طابور الصهاريج عند حقل العمر بطولٍ يتجاوز 6 كم».

العراق مستهلكٌ جديد

مع سيطرة التنظيم دخل العراقيون سوق استهلاك النفط السوريّ بكمياتٍ لا توجد عنها معلوماتٌ واضحة، لكن أسعار المحروقات ارتفعت بنسبةٍ كبيرةٍ تتجاوز المئة في المئة إثر ذلك، فأصبح سعر برميل المازوت 17 ألف ليرة. في شتاء 2015 يقول سائق أحد صهاريج النفط: «تخرج مئات الصهاريج يومياً من حقول دير الزور إلى مدينة القائم العراقية حيث توجد أربعة أسواقٍ كبرى لبيع

النفط الخام والمحروقات المكرّرة». ويضيف: «يشتري العراقيون المازوت والبنزين المكرّرين أكثر من النفط الخام. لا أستطيع تحديد الكمية لكنها كبيرةٌ جداً، إذ إن سوق النفط في القائم أكبر من أسواق الشمال السوريّ».

تهريب المازوت إلى تركيا

من المعروف أن أسعار المحروقات في تركيا أعلى منها في سوريا، فبينما يبلغ سعر ليتر المازوت في سوريا نصف دولارٍ تقريباً يزيد سعره في تركيا على دولار، ولذلك نشط تهريبه عبر الحدود بين البلدين. يقول صاحب محلٍ لبيع المحروقات في مدينة سرمدا بريف إدلب: «انخفض تهريب المازوت إلى تركيا بنسبةٍ كبيرةٍ بعد سيطرة التنظيم على الآبار، بسبب ارتفاع أسعار المازوت في سوريا وضغط الأتراك على الحدود». وعند سؤاله عن آلية التهريب وكمياته أجاب: «كانت تجارة المازوت تتمّ بين المهرّبين على طرفي الحدود عن طريق الأنابيب، أو بنقله بالبيدونات. ويباع الليتر لتركيا بـ 150-200 ليرة». ويضيف: «تجارة المازوت أهليةٌ بحتة تتمّ بين المهرّبين، ولا أعتقد أن للحكومة التركية علاقة بها. والكميات المهرّبة ليست كبيرة». صحيفة صباح التركية نشرت، في 10 أيلول الماضي، تصريحاً لأحد المسؤولين في إقليم هاتاي قال فيه إن الأتراك ضبطوا 11 مليون ليترٍ من المازوت المهرّب إلى تركيا عبر الحدود مع سوريا في عام 2014. وإذا كانت سعة البرميل 156 ليتراً تقدّر الكمية المضبوطة بما يزيد على 66 ألف برميل.

صفقات داعش والنظام

عقد النظام، عبر موظفيه في وزارة النفط، اتفاقاتٍ مع داعش في معامل غاز (كونيكو -الجبسة) تقضي بإرسال غاز الطاقة إلى محطة الريان في حمص ليتمّ توزيعه على المحطات الحرارية لإنتاج الكهرباء، وبالمقابل تستفيد داعش من مادتي الغاز المنزليّ والكوندينسات (البنزين الأحمر). ولو أرادت داعش أن تمنع النظام من الاستفادة من الغاز لدفعها ذلك بالضرورة إلى أن توقف المعمل، فكمية الغاز الناتجة كبيرةٌ للغاية ولا يمكن حرقها أو هدرها. وكنتيجةٍ لهكذا إجراءٍ ستحرم داعش نفسها من الاستفادة أيضاً، مما دفعها إلى أن تقبل بالاتفاق. أما في معمل غاز تويّنان فالاتفاق مختلف، بحسب مهندسٍ هناك يقول: «حصلت مفاوضاتٌ عديدةٌ، قبل تشغيل المعمل في أيلول 2014، بين النظام وداعش، كان الوسيط فيها مدير المعمل. في تلك الأثناء كان النظام يطلب إرسال الغاز إلى محطة ارك في تدمر وداعش ترفض. وبعدها اتفق الطرفان على أن يتمّ إرسال الغاز من المعمل إلى محطة حلب الحرارية الواقعة تحت سيطرة داعش، وأن يقسم إنتاج المحطة من الكهرباء إلى 70 ميغا واط لداعش و50 ميغا للنظام. تعطلت محطة حلب بعد مدّةٍ من تشغيل المعمل، طلب بعدها النظام مجدداً إرسال الغاز إلى محطة ارك لكن داعش رفضت. واستمرّت في تشغيل المعمل من أجل 300 برميل كوندينسات يومياً، فالمعمل لا ينتج الغاز المنزليّ. أما غاز الطاقة فيتمّ حرقه مع الشعلة لان كميته بسيطة».

لا نفط يُنقل عبر الأنابيب

بحسب أحد مهندسي وزارة النفط التابعة للنظام فإن النفط كان يُنقل من الحقول والمحطات عبر الأنابيب، ويُجمع في الشركة السورية لنقل وتخزين النفط بالقرب من مصفاة حمص، ثم يخزن وينقل، عبر الأنابيب أيضاً، للتصدير أو إلى مصفاتي حمص وبانياس. لكن هذه الشركة توقفت عن العمل لعدم ورود النفط من الحقول والمحطات التي خرجت عن سيطرة النظام. وينفي مهندسٌ في حقل شاعر وجود اتفاقٍ في مجال النفط بين النظام وداعش، قائلاً: «يحتاج نقل النفط عبر الأنابيب إلى وحدات ضخٍ تبدأ بالآبار مروراً بمحطات التجميع. وهي تحتاج إلى فرقٍ من الخبراء والمختصّين غير متوافرة حالياً». ويضيف: «إذا كان هناك اتفاقٌ بين داعش والنظام فلماذا لا يتمّ إصلاح الأعطال في حقل الهيل للغاز في ريف تدمر، الخارج عن الخدمة منذ عام ونصف؟ ولماذا توقف حقل شاعر عن العمل منذ خمسة أشهر؟». اريكا سولومون، الصحفية في فايننشيال تايمز البريطانية، تقول: «لأكثر من شهرٍ ونصف عمل فريق الفايننشال على تقريرٍ عن النفط والغاز لدى تنظيم داعش. لم نصل إلى أيّ معلومةٍ تدلّ على وجود اتفاقٍ بين النظام وداعش في مجال النفط، على عكس ما ورد في تقارير الاتحاد الأوربيّ والخزانة الامريكية. برأيي أنهم لا يفرّقون بين الغاز والنفط». وتضيف: «لا أعلم... ربما هناك نفطٌ تبيعه داعش للنظام، لكن هل يشتري النظام النفط من داعش بـ45 دولاراً للبرميل وسعر النفط في السوق العالمية أقل بعشرة دولارات؟».

قوات الأمن التركية تعتقل أشخاصاً يشتبه في انتمائهم إلى داعش

عيون داعش في أورفا

مجد السعد

لا يغيب الحديث عن «الخلايا» الخارجية لتنظيم الدولة عن أيٍّ من السوريين في أورفا، المدينة التركية التي استقبلت العدد الأكبر من أهالي المنطقة الشرقية، والتي يتجاوز عدد اللاجئين فيها النصف مليون، يشكّل أهالي دير الزور والرقة ثلثيهم تقريباً. وتختلف نظرة السوريون وغيرهم إلى هذه «الخلايا» من شخصٍ إلى آخر؛ فيرى البعض أنهم مجرّد موالين للتنظيم عاطفياً، بالإضافة إلى قلةٍ من المبايعين جاؤوا لأغراض مختلفة، ويصل بهم البعض الآخر إلى جهازٍ شديد التنظيم يضاهي الـCIA!!!

اصطدم ناشطو دير الزور مع خلايا التنظيم الخارجية منذ سيطرته على المدينة. ففي تلك الفترة توجّه أعضاءٌ من الكادر الطبيّ والإعلاميين إلى تركيا لتلقي تدريباتٍ على الإسعافات الأولية، بعد موافقةٍ خطيةٍ من أمير ديوان الصحة في المدينة. لكن أمنيّي التنظيم اعتقلوهم بعد عودتهم، وتمّت مواجهتهم في التحقيق بتفاصيل كثيرةٍ من رحلتهم. وقد وجّه الناشطون أصابع الاتهام سرّاً، بعد الإفراج عنهم، إلى أحد زملائهم في الدورة التدريبية له الكثير من أولاد العم المبايعين. واعتقل بعدها الكثير من الأشخاص الذين زاروا تركيا بسبب لقاءاتهم هناك بشخصياتٍ تجاهر بمحاربة التنظيم، ما دفع غالبية أهالي المنطقة الشرقية عموماً، ودير الزور خصوصاً، إلى الهمس عند الحديث عن «داعش».

سياسيٌّ عروبيٌّ من دير الزور يقيم في أورفا، ينخرط في فعالياتٍ سياسيةٍ ومدنيةٍ متعدّدة، تلقى تحذيراتٍ كثيرةً من معارفه وأقاربه لضبط النفس والتوقف عن حملاته العلنية على التنظيم. وجاء بعض هذه التحذيرات من أتراكٍ من أصولٍ عربية. يعتقد هذا السياسيّ أن الكثير من الاعتقالات والإعدامات التي ترتكبها داعش في دير الزور تتمّ بسبب نشاط أقارب الضحايا في تركيا، لخوف الأمراء من الخلايا النائمة المناهضة. ويعدّد أسماء عناصر من التنظيم جاؤوا كمنشقين مزعومين عنه لكنهم عادوا إليه بعد جمع معلوماتٍ كثيرةٍ من الناشطين. يميّز الرجل بين النقد البسيط لداعش والعمل المنظم الذي تخاف منه، وخاصّةً في كشف الأسماء الحقيقية للأمراء و«علاقتهم بالمخابرات السورية والعالمية»،

تلك العلاقة التي لا يشك محدّثنا لحظةً في وجودها.

ازدادت الأمور تعقيداً بعد ذبح الإعلاميَّين المناهضين لداعش في أورفا في تشرين الأول الماضي، وراحت تطفو على السطح الكثير من الأقاويل عن خلايا التنظيم. يقول ناشطٌ إغاثيٌّ من الرقة إن لداعش خلايا منظمة في أورفا ولكنها «ما تعمل إلا يجيها الأمر»، و«في ناس مجنّدتهم» لمتابعة أمور الناشطين وتتبع أخبارهم وتحديد الأكثر خطورة. ويقول إن الشكوك في هذا المجال تدور حول شخصياتٍ معروفة، قاصداً منشقين عن التنظيم. وقد وصلت عدوى الحذر من «خلايا أورفا» إلى الكثير من الصحف الغربية التي تمنع صحفييها من التوجّه إلى المدينة بعد الخامسة مساءً، وتختار لهم عينتاب مكاناً للإقامة. على أن الأخيرة لا تختلف كثيراً عن أورفا، كما يرى احد الصحفيين الغربيين الذين يتردّدون إلى المدينة كثيراً. كما أن الاثنتين أقلّ خطراً من بيروت التي تثق بحالتها الأمنية جميع الصحف، بحسب ما نقل عنه.

اتخذ التنظيم العديد من الإجراءات للحدّ من الانشقاقات، كمنع العناصر من التنقل بدون إذنٍ رسميّ. ورغم ذلك ما زال يتدفق الكثير منهم إلى تركيا سرّاً، معلنين انشقاقهم لأقربائهم ومعارفهم فقط، ويختارون أورفا للإقامة، وسط ترحيب وتشجيع البعض، ومطالبات آخرين بالمحاسبة، وخوف وارتياب الغالبية. ولا يميّز السوريون في هذا المجال بين المناصرين والمبايعين. (أ، ب) إعلاميٌّ مستقلٌ من دير الزور، تابع عمله بعد سيطرة التنظيم على المدينة بموافقة الأمراء هناك، يرى أن للمعلومات التي يحصل عليها أمنيو داعش مصادر ثلاثة؛ أقاربهم في تركيا، والأشخاص الذين يترددون إليها بغرض التجارة، وبعض المجنّدين المتفرّغين لهذه الأعمال بالإضافة إلى مهامّ أخرى كالعناية بجرحى التنظيم الذين يأتون إلى تركيا للعلاج. ويفيد أحد الذين يعملون في تحويل الأموال عن مبالغ يتلقاها أشخاصٌ في أورفا محسوبون على التنظيم، لكنه لا يعرف بالطبع إن كان الهدف منها القيام بنشاطاتٍ معينة أم مجرّد التضامن الاجتماعيّ من أقاربٍ، على أنه يؤكد أن قادةً سابقين في جبهة النصرة يسهّلون الكثير من التحويلات المالية لصالح التنظيم.

الجدير بالذكر أن الكثير من اللاجئين، وخاصّة الناشطين، ينظرون بعين الريبة إلى الإعلاميين الذين عملوا

في ظلّ التنظيم وبموافقته، ويعتقدون أنهم عيون داعش في تركيا. (أ، ب) نفسه يتهمه الكثير ممن يعرفه بالعمالة للتنظيم بسبب العلاقات التي كانت تربطه بعناصره وأمرائه. بينما يبرّر هو بأن الإعلاميين في حاجةٍ دوماً إلى العلاقات لتسهيل عملهم والحصول على المعلومات.

المقهى هو المكان المفضّل لأبناء دير الزور في أورفا لقضاء الوقت. ويجري الحديث فيه عن «مخابرات الدواعش» وخلاياها همساً، فهم «موجودون في كلّ مقهى»، كما يجزم غالبية روّاد أحد المقاهي. لكنهم يتلكؤون عند طلب تحديد أحد أعضاء هذه «الخلايا»، ويشير بعضهم إلى شخصياتٍ ترداد المقهى لأكثر من غرضٍ، يهتمّ بهم الساعون إلى الحصول على مستنداتٍ وجوازات سفرٍ مزوّرة، ويعمل بعضهم بتجارة الحشيش كما يقول بعض الزبائن الذين بدوا غير متأكدين من الجهة التي يعمل معها هؤلاء المشبوهون، فالبعض يجعلها مخابرات النظام والبعض الآخر أمن داعش. أما من يجاهرون بعداء التنظيم في الأماكن الخاصّة والعامة فإن «ورقتهم محروقة» بالنسبة إلى الأهالي، بمعنى أنهم على لائحة التنظيم ويعرفون أن حياتهم مهددة، ولذلك أصبحوا مستهترين، وبعضهم يقاتل ضد التنظيم حتى هذا الوقت. ورغم أن روّاد المقهى يفشلون في تحديد شخصٍ يعمل في خليةٍ تابعةٍ للتنظيم إلا أن بعضهم يصرّ على أن مخابراته أقوى من المخابرات الأمريكية، ويحذر من فتح موضوعها أمام زبائن آخرين لم يمرّ على هروبهم من أراضي التنظيم أكثر من شهر.

أحد الصحفيين من دير الزور، وقد دخل إلى العديد من المدن الخاضعة للتنظيم وسرّب الكثير من المعلومات التي استعملت في تقارير عالمية، يرى أن ما يسمّى خلايا داعش ليس سوى دعايةٍ مجانيةٍ جاءت نتيجة الخوف من التنظيم، وأن المعلومات التي يحصل عليها ليست عن طريق مخابراتٍ تقوم على خلايا منظمة. وبحسب رأي هذا الصحفيّ فإن «ما يشاع عن الخلايا مجرد تكهنات... داعش لا ترسل عناصر إلى تركيا بمهماتٍ استخباراتية... الدواعش بتركيا كثر، يأتون تهريباً لقضاء الإجازات أو للعلاج... فإن قدّموا معلوماتٍ فهذا من باب إظهار الولاء لا أكثر». ويؤيد ناشطون ما ذهب إليه الصحفيّ، فيرى أحدهم أن ما يسمّى خلايا داعش هو «عفارم» من بعض عناصره أو المتحمّسين له بقصد خدمته بدافع الإخلاص أو الصعود داخل أجهزته، ويتساءل آخر عن السبب الذي يمنع التنظيم من الاقتراب من قادةٍ وناشطين سوريين بارزين، في تركيا وخارجها، رغم أنهم فاعلون في قوىً وتشكيلاتٍ تعدّ شوكةً في حلقه؟

يفتح السؤال الأخير الباب أمام الكثير من الاحتمالات، وقد تكون له الكثير من الأجوبة. لكن الأرجح أن السبب الذي يفضّل من أجله عناصر التنظيم المنشقون مدينة أورفا هو وجود حاضنتهم الاجتماعية القديمة من أقارب وأصدقاء، واختلاط احتضان هؤلاء للمنشقين والدفاع عنهم باختزال التنظيم من قبل بعض مناوئيه بقوىً عشائريةٍ معينة، والتركيز على مواقف شخصيةٍ سابقةٍ وإعطائها أبعاداً مختلفة. ويسلط ذلك الضوء على العامل الاجتماعيّ الذي نمت في ظله فكرة «خلايا داعش»، فالكثير من أهالي المنطقة الشرقية الذين هربوا من عالمهم حملوا معهم قضاياه العالقة، التي تشكل العشائرية وتصفية حساباتها -باستخدام التنظيم وغيره- أحد أظهرها. على أن التنظيم نفسه، الذي يعيش في الأزمات، لا يتوانى عن محاولة تصديرها حين تتاح له الفرصة..

التجنيد في صفوف داعش

الدورتان الشرعية والعسكرية تؤسّسان الأطفال والمراهقين من جديد

تقرير خاصّ

حتى الآن، ما زال عدد المنتسبين الجدد إلى تنظيم الدولة الإسلامية (داعش) كافياً لتعويض الخسائر البشرية التي يتكبّدها في حروبه المختلفة، وما زالوا أداةً رئيسيةً في الدفاع عن المناطق التي يحتلها وفي تمكينه داخلها.

خلال الأشهر الأولى لاحتلال داعش محافظة دير الزور بدأت تنشأ ظواهر انضمام محليةٌ إلى صفوف التنظيم. ورغم تفاوت العدد بين بلدةٍ أو قريةٍ وأخرى، ظلت نسبة المنضمّين أمام التعداد العام للذكور البالغين صغيرة. تنوّعت دوافع الانضمام وقتها بين الرغبة في التمتع بالسلطة، والإفلات من العقاب على سرقاتٍ سابقة، والتخلص من الملاحقة بسبب انتماءٍ سابق إلى الجيش الحرّ أو إلى جبهة النصرة. ولعب الوهم الذي ساد آنذاك بأن التنظيم قادرٌ على هزيمة قوّات الأسد بدير الزور دوراً في انضمام نسبةٍ من المقاتلين. لاحقاً، ومع زوال هذا الوهم وأوهام أخرى حول داعش، صارت دوافع الانضمام منفعيةً، إلى حدٍّ كبيرٍ، لدى أعدادٍ متزايدةٍ من الشبان الأكبر سناً والرجال الذين خسروا مصادر رزقهم بسبب الظروف العامة للحرب والظروف الخاصة التي صنعها التنظيم قصداً أو بغير قصد. ليكون الانضمام إلى داعش والحصول منها على راتبٍ آخر كلّ شهرٍ سبيل العيش الوحيد المتاح تقريباً. يدرك التنظيم هذه الدوافع ولا يبالي بتلطيف نفعيتها، إذ يتركز اهتمامه الرئيسيّ على فئةٍ أخرى هي الأطفال والمراهقين، وتشكّل هذه الفئة عماد عملية التجنيد والهدف الأول لدعاية التنظيم التي تنجح في اجتذابهم، لتتمّ تربيتهم من جديدٍ أثناء دورتي الإعداد، ثم في بيئة التنظيم المشحونة دوماً بدعاويه التي تتحوّل إلى مبادئ راسخةٍ يُخلِص هؤلاء في اعتناقها حتى الموت. ويعدّ تجدد هذه الفئة العمرية والسهولة النسبية لاستقطابها ضمانة تغذيةٍ مستمرّة لعديد التنظيم وتعويضاً عن خسائره البشرية في جانبها الكميّ، بينما يعجز عن تعويض أفراده المتميزين الذين يسقطون على جبهات القتال أو نتيجة هجمات طائرات التحالف.

خلال الدورة العسكرية، وإلى جانب الدروس، يشاهد المتدرّبون أفلاماً لمعارك خاضها التنظيم ولحفلات إعدام وقطع رؤوس، تلهب خيال المراهقين والأطفال فيقدم الأكثر حماساً منهم على التسجيل في قوائم الانتحاريين.

المعسكرات وطريقة الانتساب

يتلقى مكتب الموارد البشرية طلبات الانتساب وأوراق التزكية -من عضوين في التنظيم- اللازمة لكلّ متقدّم. وفي استمارةٍ من 8 صفحاتٍ يجيب المتقدّم عن عشرات الأسئلة التفصيلية التي تتناول السيرة الشخصية والمهنية له ولأقاربه من الدرجتين الأولى والثانية.

يُقبَل معظم المتقدمين، ويُحدَّد لكلٍّ منهم موعدٌ لمراجعة هذا المكتب قبل الالتحاق بالدورة الشرعية التي تمتدّ إلى شهرٍ في الأحوال العادية، وتجرى في مكانٍ مغلق، ويتلقى خلالها المنتسبون دروساً في القرآن الكريم والفقه إلى جانب دروس التوحيد التي يركّز عليها شرعيو التنظيم ليصلوا بالمنتسب، عبر مفاهيم الولاء والبراء وفق رؤية داعش، إلى الانقياد الكامل للأمراء والتسليم الأعمى بأحكام التنظيم على الآخرين. بعد انقضاء هذه الدورة يلتحق المجندون الجدد بالدورة العسكرية التي يخضعون خلالها لتدريبات بدنيةٍ قاسية، إلى جانب دروس استعمال السلاح الخفيف المفروضة على الجميع، فيما يتلقى البعض دروساً إضافية على السلاحين المتوسط والثقيل. تمتد الدورة العسكرية لشهر أيضاً في الأحوال العادية، أو تختصر -لأسبوعين فقط أحياناً- حسب الظروف الأمنية وحاجة التنظيم إلى مقاتلين. كما يتغيّر العدد من دورةٍ إلى أخرى حسب هذه الظروف التي دفعت التنظيم إلى تقليص عدد أفراد كلّ دورةٍ وزيادة عدد الدورات المقامة في الوقت ذاته وتغيير مواقعها باستمرار، في محاولةٍ لتقليص احتمالات الاستهداف من طائرات التحالف. فقد انخفض متوسّط عدد كلّ دورةٍ من أكثر من 500 متدرّبٍ قبل ستة أشهرٍ إلى 100 في الأسابيع الأخيرة.

بسبب الفقر والحاجة الماسّة إلى أيّ موردٍ، انضمّ إلى داعش خلال الأشهر الستة الأخيرة أكثر من 300 من أبناء بلدتي الخَريطة والشميطية في الريف الغربيّ لدير الزور. وفي تموز الماضي ضمّت دورةٌ عسكريةٌ واحدةٌ في هذا الريف أكثر من 600 منتسب.

الفرز والاختصاص

في نهاية الدورة الشرعية يعدّ المنتسب مبايعاً كامل العضوية، ويصبح ديوان الجند هو الجهاز المسؤول عنه طالما بقي عاملاً في الجسم العسكريّ ولم يفرز إلى ديوانٍ آخر. ويُحَدّد الفرز في نهاية الدورة العسكرية بين الأجهزة المختلفة، وداخل «الولاية» أو خارجها، بناءً على أولوياتٍ يأتي مقدار الحاجة إلى مقاتلين جددٍ في مقدمتها. وتلعب الواسطة، التي تأخذ شكل طلب أحد أمراء الدواوين عنصراً بعينه، دوراً هاماً في فرز بعض العناصر الجدد إلى أجهزةٍ ذات عملٍ آمنٍ ومريح أو إلى الجهاز الأمنيّ الأرفع شأناً. مع إمكانية أن يُطلَب من الجميع (خلا الأمنيين) أن يقاتلوا على الجبهات في أيّ وقت. ولا يبدو للخبرة والكفاءة المهنية السابقة دورٌ أساسيٌّ في الفرز، إذ يمكن أن تجد من أمضى سنواتٍ كثيرةً في التدريس يحمل بندقيةً إلى جانب فتىً صغير، ويمكن أن يُفرز عسكريٌّ منشقٌّ عن جيش النظام إلى جهازٍ مدنيٍّ.

نهفات ديرية

معاذ الطلب

• في مقبرة الشهداء، وأثناء تشييع متظاهر قضى أثناء محاولة خلع تمثال حافظ الأسد، كان أحد المشيّعين حزيناً على إزهاق الأرواح هكذا بعشوائية، وغاضباً من غياب العقل في «مظاهراتنا» وقلة التخطيط. كانت هيئة الرجل، بالسنّ النحاسي البارز دوماً و«الجراوية» (شماغ يثبت بمهارة على الرأس ليشبه عمامة رشيقة) مع تلويحه بالشنتيانة (سيفٌ شديد المرونة يمكن طيّه ولفّه على الخصر) أو برد أظافره بها، تخالف دور المتعقل الذي اتخذه وهو يعدّد الأخطاء التي وقع فيها متظاهرو الأمس، والمتظاهرون قبلهم، بل في كلّ المظاهرات: «ما يصير نهجم هيجد. اللي قام نعملو غلط. نهجم عالتمثال، يقوّس علينا الأمن ويقتل منّا، ونطلع جنازة. وثاني يوم نهجم، ويقتل منّا الأمن، ونردّ نطلع جنازة. وكلّ يوم على هالحالة. ليش ما نتعلم من المرحوم صدام حسين؟ نفخّخ كم جحش ونفجّرها بهالصنم ونخلص».

• زوراً اتُّهم صانع حلوياتٍ شهيرٌ في دير الزور، أيام المظاهرات السلمية، أنه تبرّع بضيافة زوّار الخيمة التي نصبها مؤيدو النظام برعاية فرع الحزب وأجهزة المخابرات. ونتيجة هذه التهمة تعرّض المحلّ للتحرّش من بعض المتظاهرين قبل أن يعلن الرجل في اليوم التالي براءته من ذلك، ويخصّص طاولات حلو على الرصيف مجاناً للمتظاهرين اليوميين.

• سألت صحفيةٌ أجنبيةٌ مقاتلاً يتعاطى الحشيش: الحشيش يسبّب الخوف، ألا تخاف في المعارك؟
المقاتل: صحيح نخاف، لكن نتكاسل من الهزيمة.

• لم تفارق روح الفكاهة الديريين في أسوأ الأوقات، فمعظمهم قادرٌ على الاستنكار بنكتة «تضحك ابن الميت ببيت العزا». ورغم إحساسهم الطبيعيّ بالخوف في اللحظات الخطرة أثناء المواجهات على خطوط التماسّ، كانت حركاتٌ مثل ضرب الطبول في مكبّرات صوتٍ ضخمة تحيل الموقف كله إلى «مسخرة». وكذلك حين يُدعى عناصر النظام إلى الاستسلام (رغم تفوّقهم الناريّ) والانشقاق بلغة أخوية من نوع: «انشقّ يول يا خوي وتعال تليقي كلّ شي عندنا. انشقّ ناخذك عالخياط ويقطبك ونبعثك على أهلك». وعندما يأتي ردّ عناصر النظام على دعوة الاستسلام الهازئة تلك أحمق وهيستيريا، بمزيدٍ من إطلاق النار والقذائف، تعاتبهم مكبّرات الصوت في أوّل لحظة هدوء بـ«عليش انزعجت؟ عمرينك لا تنشقّ ولا تتقطّب!».

• حتى إعلام الثورة الديريّ لا يخلو من السخرية، كما في مقطع مصوّر لمقاتل من حيّ المطار القديم يوجه رسالةً تحدٍّ لبشار الأسد بـ«لا ترحل يا بشار لا ترحل. إحنا اللي راح نرحل». وفي مقطع ثانٍ لرجلٍ مسنٍّ ومتحمس «يفلط» وهو يستلهم حوادث التراث لتأكيد الثوابت والمقارنة: «إحنا أحفاد محمد، وانتم أحفاد أبو مجوسة اللؤلؤي». ولما كانت لازمة القصف المتنوّع والوحشيّ باباً متكرّراً في شكاوى المتحدثين إلى «الإعلام» يسترسل متحدثٌ عن طرائق القصف وأنواعه بـ«بشار يقصفنا وما يوقف، نوبة يرمي علينا براميل وقنابل، ونوبة يرمي دبابات وطيارات». بينما يبيّن بعض المتحدثين أن لديهم إحساساً عاماً بالخراب الذي لحق بالبلاد من ناحية مراحل التنمية المزعومة الواجب قطعها من جديدٍ بعد أن «أعادنا» بشار إلى الوراء، وبلغة الأرقام: «بشار ما رجّعنا عشرين سنة لورا، بشار رجّعنا خمسة وعشرين سنة».

• «داعشي» على حاجز تفتيش يأمر السائقين بالانصراف بـ«انقلع بأمان الله».

• في مرحلة «داعش» تناول المزاج الديريّ جنون التنظيم وقوانينه الحمقاء بنمطٍ آخر من المفارقات التي تكيّفت مع الجوّ الجديد بهيئاته ولغته، بعضها حقيقيٌّ والآخر محض اختلاق. فمن المزعوم الطريف قصة الداعشيّ الباحث في محلّ ألبسة عن باكستانية من ماركة أديداس، بينما من الحقيقيّ ما حدث على بسطة ألبسة لفتىً صغير، حين جادل «داعشيٌّ» في السعر إلى حدٍّ أغضب الفتى الذي قال: «ترى والله زهّدتني يا شيخ!». فتلاطف «الداعشيّ» قائلاً: «ما سمعت حديث الرسول: بازروا حتى يجفّ العرق؟»، فيردّ الفتى: «بس الرسول ما يعرف شقد راس المال يا شيخ». لينتهي النقاش باعتقال الفتى.

• عبّرت عجوزٌ عن نظرة الناس إلى المستقبل حين نصحها عنصرٌ من داعش أن تحكم غطاء وجهها وتذرّعت بأنها لا تستطيع ذلك «لأنها تختنق»، فتساءل العنصر عما سيكون عليه حالها مع الغطاء في حرارة الصيف فردّت العجوز: «عجل تريد تظلون يا عيني للصيف؟!».

لمحاربة فكر داعش بالقوّة الناعمة..
«مسلمون لا مجرمون» شريطٌ مصوّرٌ لـ «الجبهة الشامية»

أحمد أبو زيد

وجّهت «الجبهة الشامية»، إحدى كبرى الفصائل المقاتلة في الشمال السوريّ، رسالةً إعلاميةً قويةً لعدّة أطرافٍ داخليةٍ وخارجية، عبر شريطٍ مصوّرٍ لقي انتشاراً واسعاً على شبكات التواصل الاجتماعيّ والقنوات والصحف الإخبارية العربية والغربية. وثق الشريط، الذي حمل عنوان «مسلمون لا مجرمون»، اعترافات مجموعةٍ من عناصر تنظيم الدولة الإسلامية (داعش) كانوا قد وقعوا أسرى لدى «الشامية» خلال المعارك المستمرّة بين الطرفين في مناطق مختلفة بريف حلب الشماليّ.

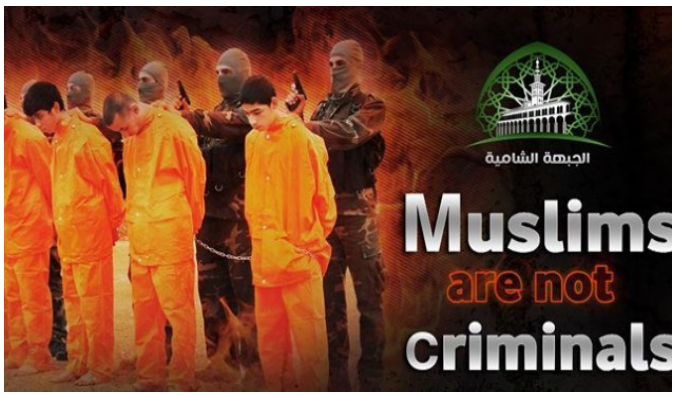

وتوقّع مشاهدو الشريط أن تكون نهايته مثل نهاية الإصدارات التي يبُثها التنظيم لأنه يشبهها إلى حدٍّ كبير في الإخراج وطريقة عرض الاعترافات والمؤثرات الصوتية، عندما ظهر الأسرى وهم يجلسون على الأرض مرتدين ثياباً برتقاليةً في انتظار تنفيذ حكم الإعدام بحقهم، وخلف كلٍّ منهم عنصرٌ ملثم. إلا أن النهاية هذه المرّة كانت خاليةً من الدماء ومشاهد القتل الوحشيّ، حين قام الملثّمون بإعادة أسلحتهم الموجّهة نحو رؤوس الأسرى إلى جيوبهم ونزع الأقنعة عنهم، تزامناً مع ظهور رئيس المكتب الشرعيّ في «الشامية»، الشيخ محمد الخطيب، وإلقائه كلمةً أمامهم قال فيها: «نحن مسلمون لا مجرمون، لسنا هواة قتلٍ ولا ذبحٍ ولا رعبٍ ولا إرهاب»، مفسّراً عدم قيام مقاتلي «الشامية» بقتل الأسرى.

وقال الشيخ الخطيب في تصريح لـ«عين المدينة»: «محاربة الدواعش ليست بالسلاح والقوة الخشنة فقط، لا بدّ من محاربة فكرهم بكافة الوسائل، خاصّةً القوّة الناعمة الممثلة في الفكر والمنطق. فالفكر لا يواجه إلا بالفكر، والاقتصار على السلاح فقط سيزيد هؤلاء تشبثاً وتعنتاً ووحشية». وأضاف: «نلاحظ في خضمّ الثورة المباركة طغيان الجانب العسكريّ والمشاهد العنيفة على كلّ إصداراتنا والساحة الإعلامية فيها، بينما نجد خفوتاً لصوت الإنسانية والرحمة والإنصاف والعدالة مع أنها من صلب ديننا ومبادئ ثورتنا، وهذا ما عملنا على إبرازه في الإصدار».

ورداً على سؤال مراسل «عين المدينة» حول الرسائل التي أرادوا توجيهها من خلال الفيلم قال الشيخ الخطيب: «هذه الرسائل موجّهةٌ للعالم أجمع ومفادها أننا لا نهوى القتل ولا نحّب سفك الدماء، ولولا أن الحرب فُرضت علينا لندافع بها عن ديننا وأهلنا وإخواننا ما خضناها. وهي رسالةٌ لمن غُرّرَ بهم من أبناء جلدتنا وإخواننا الذين ضلّوا الطريق واتّبعوا منهج الإجرام، رسالة نصح وحبٍّ وشفقةٍ على أطفالٍ وشبابٍ أرادوا نصرة دينهم فضلّوا الطريق أو لحقوا المال وشهوة السلطة، فَضَلوا وأضلوا وقتلوا وأجرموا. كما أن الرسالة موجهةٌ أيضاً لأهلنا لتخبرهم أن الحرب وقسوتها وشدتها ودمارها لم تغيّر الفطرة السليمة في قلوبنا، فلا زال في الأمة أصحابُ رحمةٍ وإنصافٍ وعدالةٍ وحريةٍ وحماسةٍ لنصرة الحق».

وفي جوابه عن سؤال «عين المدينة» حول مصير الأسرى قال الخطيب: «سيتمّ عرضهم على محاكم مختصّةٍ ستقوم بإصدار الأحكام العادلة بحقهم وفق شريعتنا الإسلامية وضمن إجراءات القانون العربيّ الموحد. وسيتمّ توثيق ذلك بالوثائق والتصوير كاملاً، فلا توجد أحكامٌ اعتباطيةٌ أو عشوائيةٌ أو جماعيةٌ في القضاء النزيه. كما أنّ أمرَ مبادلتهم بإخواننا الذين وقعوا في أسر التنظيم واردٌ من حيث المبدأ».

وبعد أيام من نشر الشريط قال ناشطون ديريون إن أحد الذين ظهروا فيه شابٌّ ديريٌّ من حيّ «البعاجين» اسمه أنس علوان. واتهموا «الجبهة الشامية» باستغلال الشابّ الذي فقد قبل فترةٍ، قرب معبر باب السلامة الذي تسيطر عليه «الشامية»، في إصدارها، مؤكدين أن المفقود من أوائل المشاركين في الثورة السورية. وبدوره نفى مدير مؤسسة الكفاح الإعلامية، التي أنتجت الشريط، صحة الاتهامات، في تصريح لـ«عين المدينة»، مؤكداً أن الشخص الذي شُبّه عليه اسمه خالد عساف بن راتب، وأمه خلود العامرية، وهو من مواليد حمص وليس من دير الزور، وهو صاحب جواز السفر المنشورة صورته هنا. وشكّك ناشطون ديريون قريبون من الموضوع في صحّة هذه الصورة، وأكدوا أن أهل أنس هم من تعرّفوا إليه في الإصدار، مما لا يترك مجالاً لأيّ التباس.

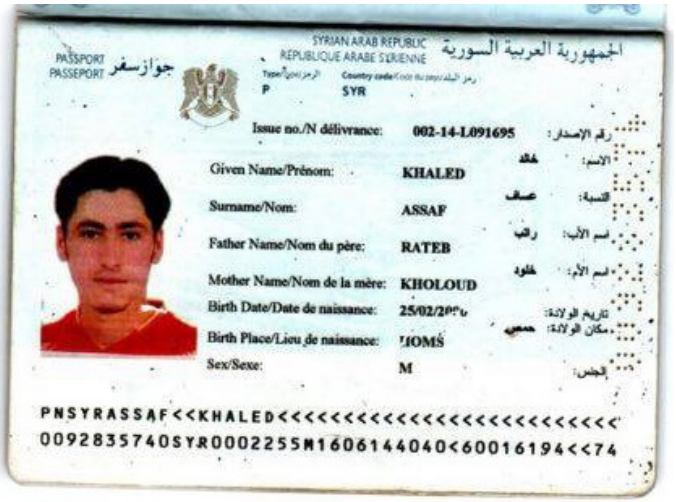

في إدلب.. البالة حلاً لغالبية الناس

مريم أحمد

صار شراء الألبسة المستعملة (البالة) الحلّ الأمثل لكثيرٍ من الذين يعيشون في سورية، وأصبحت محالّ بيع هذه الألبسة مصدر رزقٍ للعديد من الأسر.

مع انخفاض سعر صرف الليرة السورية مقابل الدولار، وتراجع عجلة الاقتصاد بعد انتعاشٍ ملحوظٍ بين عامي 2005 و2010، وفرض عقوباتٍ خارجيةٍ على حكومة النظام؛ يقول تقريرٌ أنجزه المركز السوريّ لبحوث السياسات، بالتعاون مع منظماتٍ دولية منها برنامج الأمم المتحدة الإنمائيّ، إن الاقتصاد السوريّ خسر 200 مليار دولارٍ حتى نهاية العام الماضي، كما ارتفعت نسبة الفقر لتفوق 80% من مجموع السكان، الذين انعكس كلّ ذلك سلباً على حياتهم من نواحي المحروقات والمأكل والملبس.

وإذا تتبعنا موضوع الألبسة نلاحظ أن المواطن صار يواجه مصاعب كبيرةً في كيفية التعامل مع الواقع الجديد؛ بعد تدمير طيران النظام لكثيرٍ من معامل الألبسة وخروجها عن الخدمة، والارتفاع الباهظ للأسعار، مما أدّى إلى انتشار الألبسة المستعملة التي اعتاد الناس أن يطلقوا عليها بالعامية اسم (البالة).

ولعل مدينة إدلب من أكثر المدن التي اشتهرت مؤخراً بانتشار محالّ البالة فيها، عقب تحريرها في شهر نيسان من العام الجاري، وتحوّلها إلى مركز إيواء وتجمع كثيرٍ من السوريين، وبسبب قربها من الحدود التركية، وكثرة مخيمات النازحين في ريفها؛ مما جعل منها مركز الشمال والتجمّع الأكبر سكانياً بين المناطق التي خرجت عن سيطرة النظام.

وبلقائنا مع السيدة أماني، وهي مديرة روضة أطفالٍ في المدينة، قالت: «إن غلاء أسعار الألبسة الجديدة، تزامنا مع بقاء الدخل الماديّ كما هو؛ انعكس سلباً على الشعب السوريّ عامةً وعلى سكّان المناطق المحرّرة خاصّةً ومنها مدينتي». وتتابع: «لم أعد أستطيع شراء ملابسي من محالّ الألبسة الجديدة؛ فراتبي -الذي لا يتجاوز 20 ألف ليرة- يكاد ينفق في الثلث الأول من الشهر؛ ما اضطرّني إلى أن ألجأ إلى البالة كبديل».

تقسم البالة إلى قسمين؛ تلك الموجودة في المحالّ التي تنتشر في كلّ حيٍّ من أحياء المدينة، ويتراوح سعر القطعة فيها بين 500 و3000 ليرة. أما النوع الثاني فيسّمى بالة البسطات، أي تلك التي توضع على عرباتٍ خشبيةٍ وتتنقل في الأسواق (البازار)، كسوق الأربعاء أو الجمعة. وتتراوح أسعارها بين 50 إلى 100 ليرة للقطعة، ولكن جودتها تقلّ على تلك التي توجد في المحالّ. وتشتهر مدينة إدلب بسوق الأربعاء الذي يناسب كافة المستويات المعيشية، والذي يحوي ما يحتاجه المواطن من أحذيةٍ وقماشٍ وحتى ألعاب الأطفال.

وبالمقارنة بين أسعار الألبسة الجديدة ونظيرتها في البالة نلحظ فارقاً كبيراً في الأسعار. فسعر المانطو النسائيّ الجديد يتراوح بين 7 و15 ألف ليرة، أما مثيله في البالة فإن ارتفع سعره لن يتعدى الـ2000 ليرة. وكذلك الكنزة التي وصل سعرها إلى 3000 ليرةٍ في محالّ الألبسة الجديدة، بينما يمكن شراؤها من البالة بسعر 600 ليرة، ومن قماشٍ أفضل بكثير. ويتراوح سعر الجاكيت بين 5 و6 آلاف ليرةٍ في المحلات، بينما يمكن للمشتري أن يجده في أسواق المستعمل بسعر 3 آلاف ليرة ومن ماركاتٍ جيدةٍ ونوعيةٍ ممتازة. وتطرّقت أماني إلى الفارق الكبير في النوعية بين كلا الطرفين، فسبب قلة الرقابة وغياب المحاسبة على معامل وورشات صناعة الألبسة صار منتجها رديئاً وذا جودةٍ منخفضةٍ جداً.

بسطة بالة في مدينة إدلب - خاص

كما دخلت البالة أيضاً بمساهمةٍ من الهيئات والمنظمات الإغاثية التي عملت على جمع الملابس من سكان المناطق السورية الأخرى، أو من الدول المجاورة مثل تركيا ولبنان وغيرها، لترسل إلى داخل سورية وتوزّع على المحتاجين. فقد أصبح غالبية الناس في حاجةٍ، وبعضهم لا يستطيع شراء قطعة اللباس حتى وإن كانت من البالة وبسعرٍ قليل. وكانت لحملات جمع الثياب التي قام بها سوريون داخل البلاد وخارجها أهميةٌ كبيرةٌ في التخفيف عن الناس وتأمين ما يردّ عنهم برد الشتاء وحرّ الصيف.

وائل، أحد الشبان المتطوّعين من ريف حماة الشماليّ، يقول: «كنا السبّاقين إلى هذه المبادرة. قمتُ ورفاقي بجولةٍ على المنازل في قلعة المضيق وكفرنبودة والقرى المحيطة بهما، وجمعنا ما استطعنا جمعه من الألبسة المستعملة وقمنا بتوزيعه على النازحين في ريف إدلب، وخاصّةً المقيمين تحت الأشجار. فوجئنا بتجاوب الناس معنا وتفاعلهم مع الحملة، فقد جمعنا الكثير من الألبسة».

طلاس السلامة قائد أسود الشرقية:

سنؤسّس جيشاً لتحرير دير الزور من داعش والنظام

200 مقاتلٍ فقط هم من تصدّوا لداعش، وسقوط الحدود العراقية والفوضى والتنافس واستئثار البعض بالنفط هي أسباب هزيمتنا في دير الزور

حاورته هيئة التحرير

ساعةً خلال مظاهرةٍ أمام جامع في مدينته «العشارة» غيّرت حياة طلاس السلامة، من مالك معملٍ صغيرٍ لمواد البناء إلى ثائرٍ حمل السلاح دفاعاً عن المتظاهرين وهم يومذاك «نخبة البلد، طلاب جامعاتٍ ومتعلمون»، ضد «سرسرية حزب البعث وحشاشين ومخبرين»، حسب وصفه. ثم سارت به الأيام ليكون قائد مجموعةٍ من الجيش الحرّ دون اسم، تحوّلت إلى كتيبة «بشائر النصر» في الشهر الثالث من عام 2012، ثم إلى لواءٍ بالاسم نفسه. إلى أن اندلعت حرب داعش مطلع 2014 فكان من ألدّ أعدائها، وقاد، في الأسابيع الأخيرة من المواجهات، مجلس شورى المجاهدين فور تأسيسه، وهو تحالفٌ للفصائل المحاربة لداعش في دير الزور.

بعد اجتياح داعش للمحافظة خرج طلاس ومئاتٌ من مقاتلي الحرّ إلى القلمون الشرقيّ ليقودهم من هناك ضمن «أسود الشرقية»، وهي القوّة التي يتمنى أن تتحوّل، مع قوىً أخرى من المحافظة، إلى جيشٍ بالاسم ذاته، يحرّر دير الزور من داعش ومن بقايا النظام.

كيف تفسّر انتصار داعش السهل في دير الزور صيف العام الماضي؟

لم يكن انتصار داعش سهلاً. امتدّت حربنا معها لأشهرٍ عدّة، كانت لنا الغلبة فيها مرّاتٍ كثيرة، ونجحنا في طردها من المحافظة كلها. لكن عوامل كثيرة أسهمت في عودتها واجتياحها دير الزور قرية وراء قرية، كان أبرزها احتلال التنظيم للمناطق العراقية على الحدود لتنقطع بذلك خطوط إمدادنا الأخيرة، بعد أن تقطعت خطوط الإمداد داخل سوريا قبل أشهرٍ من ذلك في محافظة الرقة وفي البادية.

خطوط الإمداد فقط هي سبب انتصار داعش؟

لا، طبعاً. أخطاؤنا، نحن من حاربنا داعش، كان لها دور، والفوضى العامة، وعدم إخلاص البعض في صفوفنا، والخبث والفتن التي نجحت داعش في بثها بين عشائرنا وفصائلنا، وكذلك قلة عدد المقاتلين المتفرّغين فعلاً للقتال، وعوامل أخرى أسهمت في ما حدث. من ناحيةٍ أخرى لم نكن محضّرين نفسياً ودينياً لقتال داعش، في وقتٍ كنا نسمع فيه قبل المعارك معها عباراتٍ من بعض قادة جبهة النصرة بأنهم لا يقاتلون تحت «رايةٍ عمية» (يقصدون بها علم الثورة)، وهي العبارات ذاتها التي يقولها الدواعش.

ما هو العدد، ولو تقريباً، للمقاتلين الذين تصدّوا لداعش بشكلٍ دائم خلال المعارك معها؟

200 مقاتل فقط لا أكثر هي الكتلة الرئيسية في المواجهات. وهم ينتمون إلى فصائل وتشكيلاتٍ مختلفة، كان بعضها يرسل 15 أو 20 مقاتلاً ليقول نحن نقاتل داعش أيضاً، رغم قدرته على إرسال المئات.

أعلن البيان رقم واحد لمجلس شورى المجاهدين جبهة النصرة وأحرار الشام وجبهة الأصالة وجيش الإسلام وجيش مؤتة والقعقاع وآخرين

طلاس السلامة

أعضاء في هذا المجلس؛ هل شارك من كلّ هؤلاء 200 مقاتلٍ فقط في حرب داعش؟

نعم، عدا بعض المرّات التي تشبه «الفزعات»، يخرج فيها كثيرون في حملة مؤازرةٍ مثلاً لساعاتٍ ثم يعودون. بل كنا نفاجأ في المواجهات بانسحاباتٍ تستغلها داعش دوماً وتتقدّم بعد تراجعها إلى مركدة (شمال دير الزور، وتتبع لمحافظة الحسكة). هكذا سقطت قرى وبلدات الخابور تباعاً، بالتزامن مع سيطرة داعش على البادية لتدخل البلدات التي تريد على خطّ قرى «الشامية» (الضفة الجنوبية لنهر الفرات). لو نظمت صفوفنا مقابل داعش، ولو أخلص البعض منا في القتال، ولو قاتل معنا من اتخذوا موقف

الحياد؛ لتغيّر الكثير. كان مجلس الشورى -في الواقع- محاولةً من جبهة النصرة لصرف الأنظار عن أخطائها في قضايا النفط والهيئة الشرعية، ولاستقطاب مزيدٍ من الحلفاء وتوسيع قاعدة المعادين لداعش. ولم يكن هؤلاء أكثريةً بالفعل، نظراً لتضارب المصالح بين الفصائل المسلحة والعشائر والتنافس والانقسام بينها واستئثار بعضها بثروات النفط. وهو ما عرفت داعش اللعب عليه.

لماذا اخترتم القلمون تحديداً، واختار مقاتلو جبهة النصرة درعا، كمواقع لكم بعد خروجكم من دير الزور؟

لا أعلم لماذا اختار مقاتلو النصرة درعا. بالنسبة إلينا لم تكن هناك طرقٌ وخياراتٌ كثيرةٌ نُخرج بها ما نستطيع من عتادنا، وكانت القلمون هي الأنسب بالمقارنة مع المناطق الأخرى في الشمال، كإدلب وحلب، حيث يستحيل أن نصل بسلاحنا وسياراتنا مع سيطرة داعش الكاملة على الطرق. لم تكن رحلتنا سهلةً أبداً. وكانت الأشهر الأولى شاقةً جداً، كنا مهزومين وجوعى ومفلسين ومنهكين ننام في العراء في ظلال الصخور أو تحت قماش لا يشبه الخيم. وكانت نظرة الناس هناك مؤلمة، فلم نكن بالنسبة إليهم أكثر من لصوص نفطٍ هربوا من «الدولة الإسلامية». تحمّلنا كلّ ذلك وصبرنا ونجحنا في تغيير هذا التصوّر الظالم عنا، بل وكسبنا ثقة أهل القلمون سكاناً ومقاتلين، وقدناهم في بعض المعارك ضد النظام. وأيضاً طهرنا القلمون الشرقيّ من أيّ وجودٍ لداعش وقلنا للجميع لن نسمح بوجود داعشيٍّ واحدٍ هنا. ونحن اليوم نسيطر على أجزاء من طرق ومساحاتٍ هامةٍ في بادية الشام. ونستطيع، لو توافرت الإمكانات اللازمة، توسيع مناطق سيطرتنا ثم الانطلاق في معركة تحرير دير الزور، وهي ليست بعيدةً عنا إلى حدٍّ كبير، ونستطيع الزحف نحوها خلال وقتٍ قصير. كنا في البداية 400 مقاتلٍ من فصائل مختلفة، وكان تأمين الطعام والماء في هذا المكان شبه المحاصر من داعش والنظام أمراً بالغ الصعوبة، والحمد لله تغيرت الأحوال اليوم إلى الأفضل. وللأمانة ساعدتنا جبهة الأصالة والتنمية في هذه المحنة.

هل ما زلت منتمياً إلى الأصالة والتنمية؟

لقد افترقت رؤانا وسأترك الجبهة -الأصالة والتنمية- في وقتٍ قريب، وأعلن ذلك في بيان، ولن أنسى أن أشكرهم على كلّ ما قدّموه لنا.

ما زلتم 400 مقاتل؟

لا، نحن 200 وأكثر من أبناء دير الزور، والتحق بنا 150 من أبناء المنطقة، لكن نصف من كان معنا من الديريين فضلوا المغادرة إلى إدلب وحلب وتركيا وبعضهم هاجر إلى أوربا.

يتوزّع أبناء دير الزور الذين يحملون السلاح الآن على فصائل وتشكيلات في مناطق مختلفة؛ ما هي موانع تشكيل جسمٍ عسكريٍ واحد يضمّ كلّ هؤلاء؟

نوازع القيادة لدى بعضنا والمشاريع الخاصّة للبعض الآخر. والأهم من هذا تعدّد الاطراف الداعمة وتحكمها في هذه المجموعات هو السبب الرئيسيّ في فرقتنا. يجب أن نتوافق على مشروعٍ واحدٍ يضمنا جميعاً، ولدينا الآن مبادرةٌ أو مشروعٌ في هذا الخصوص نتمنى أن ينجح.

ما هو هذا المشروع؟

جيش «أسود الشرقية» الذي طرحناه على معظم

مقاتل من «أسود الشرقية» قبل المعركة - القلمون الشرقي

القادة والشخصيات العسكرية من أبناء دير الزور. وتصوّرنا له أن يكون جسماً منظماً ومنضبطاً ينصهر الجميع فيه من خلال معسكراتٍ تذيب الفوارق والانتماءات السابقة، وتتجاوز العشائرية والمناطقية. لن نقبل أيّ انضمام جماعيٍّ لكتلةٍ كاملةٍ تبقى كما هي، إنما يخضع الجميع لمعسكراتٍ تعيد دمجهم في كتلةٍ واحدة. ولدينا القدرة على ضمّ خمسة آلاف مقاتلٍ في هذا الجيش.

من سيموّل ويقدّم الذخيرة والسلاح؟

في وضعنا الحالي كـ «أسود الشرقية» نتلقى السلاح والذخيرة من الجبهة الجنوبية عبر غرفة الموك في الأردن. وهي على استعدادٍ لتوسيع دعمها لنا في حال نجح مشروعنا.

هل تثق بالدول العربية والغربية المشاركة في غرفة الموك، خاصّةً وأن بعضها يرعى ويموّل مشاريع عسكرية قد تبدو منافسة لمشروعكم؟

أنا أثق بأننا لو شكلنا جسماً كبيراً منظماً ومنضبطاً سنفرض أنفسنا على الدول المشاركة في الموك وغير الموك. تدعم هذه الدول بالفعل مشاريع متنافسة، لأنها لا تملك حلاً للأزمة إنما تحاول إدارتها عبر مساعدة الجميع. وعلينا ألا ننتظر الحلول من أحدٍ بل أن نأخذ زمام المبادرة.

هل أنت مستعدٌ لأن تتخلى عن موقعك كقائدٍ لأسود الشرقية في حال تشكيل الجيش الواحد؟

نعم، أنا مستعدٌ للتخلي عن أيّ منصبٍ لصالح هذا المشروع. وسأقاتل، مثل أيّ فردٍ، تحت قيادة أيّ شخصٍ يتمّ اختياره كقائدٍ لهذا الجيش.

في حال نجاح مشروعكم ما هي الأخطاء التي لن تقعوا فيها أو تكرّروها مرّة أخرى؟

سنترك لأصحاب الخبرات والمؤهلات الحرّية في إدارة الشؤون المدنية، ولن نتدخل في ما لا يعنينا كمقاتلين، ولن نسمح بأيّ فوضى، بل سننشئ مؤسّساتٍ لا تعمل على هوى أشخاص. وأحبّ أن أذكّر أن مدينة العشارة، التي كان لواء النصر القوة العسكرية الأولى فيها، هي المدينة الوحيدة التي استمرّت المحكمة والمخفر في العمل فيها، للتسهيل على الناس في شؤون حياتها. وإلى أن دخلت داعش كان هناك أربعةٌ من عناصر الشرطة يداومون إلى المخفر، وكنا نساعدهم وندفع لهم الرواتب أحياناً.

وهم الأحزاب السياسيّة والثورة في سورية

أحمد عيشة

يعود تاريخ نشوء الأحزاب السياسية السورية، بمختلف تلاوينها من شيوعيةٍ وقوميةٍ وإسلامية، إلى بدايات القرن العشرين. وقد كان عمودها الأساسيّ الأيديولوجية أو العقيدة، وهوايتها السياسة. فما كان من أمرها عبر الزمن إلا أن تحنّطت فكرياً رغم ادعائها التجديد، وظلت على هامش المجتمع، تمارس السياسة عبر موروثها العقائديّ الذي «لا يخطئ».

مع اندلاع الثورة السورية سارعت الأحزاب التقليدية إلى مواكبتها من زوايا ورؤىً مختلفة، تحكمها أيديولوجياتها وارتباطاتها المصلحية. كان بعض هذه الأحزاب متحفظاً في تأييده للثورة، بينما دعا بعضٌ آخر إلى دعمها والمشاركة فيها. لكن هذه المواقف بقيت، مع مرور الزمن والتداعيات السياسية الكبيرة التي رافقته، وحجم الدمار والموت، والتدخلات الخارجية؛ أقلّ من أن ترتقي إلى مستوى المشاركة والتقرير، غير مدركةٍ لطبيعة الثورات ومفاعيلها، وخاصّةً في مجتمعاتٍ تحطمت بالكامل نتيجة سطو المخابرات المستمرّ على كلّ مفاصلها، وأوّلها الحياة الحزبية والسياسية، ناهيك عن التركيبة الاجتماعية والدينية والمذهبية التي لم يكن يربطها سوى الغلاف الأمنيّ الحديديّ.

ونعرض فيما يلي محطاتٍ من مسار اثنين من أبرز أحزاب المعارضة التقليدية السورية خلال الثورة:

حزب الشعب الديمقراطيّ السوريّ (المكتب السياسيّ سابقاً)

كان من أوائل الأحزاب التي دعت الى تأييد الثورة والمشاركة فيها. لكنه، لأسبابٍ تعود إلى ذهنيته وحياته الداخلية، وظروف البلاد التي خنقت العمل السياسّي، ناهيك عن مسار الثورة وتفرّعاته؛ لم يستطع الارتقاء إلى مستوى الفعالية في المشاركة.

بعد مؤتمره السادس 2005، الذي جرى فيه تغيير الاسم، وما رافق ذلك من تغيير أيديولوجيٍّ من الماركسية اللينينية إلى الاشتراكية الديمقراطيّة، كان الحزب يأمل في الانتقال إلى ممارسة السياسة بشكلٍ علنيٍّ وشعبيّ، لكنه لم ينجح فيما طرحه وبقي أسير العقلية المركزية القديمة. ناهيك عن بعض الخطط لإعادة «الرفاق» السابقين، التي أقلّ ما يمكن أن يقال فيها إنها أعادت الحزب إلى الوراء وجلبت له سمعةً غير إيجابية. الأمر الذي انعكس سلباً على إعلان دمشق، المظلة الأوسع لتشكيلات المعارضة السورية والذي كان يمكن أن يلعب دوراً أكثر فعالية، لكن دور بعض التيارات التي تحكمها العقيدة/ الأيديولوجية، وعقلية القيادة التقليدية، إضافة إلى ظروف البلد السياسية، حالت دون ذلك. فبقي الإعلان دون تجديد ومراجعة خطه السياسيّ رغم كلّ ما يعصف بالبلاد. ورغم أنه من مؤسّسي المجلس الوطنيّ، والائتلاف من بعده، لكنه لم يتمكن من ممارسة الحياة السياسية الجماعية والتنظيمية بعقد مؤتمره وتداول القيادة، ففضّل البعض الانسحاب منه والبحث عن أشكالٍ وتجمعاتٍ بديلة.

وفي تشرين الثاني الماضي انعقد في عنتاب اجتماعٌ اعتبره منظّموه «المؤتمر الثاني لإعلان دمشق» في ظلّ تبادل رشقات الاتهام بين طرفي الإعلان، التي لم تكن إلا انعكاساً للخلاف داخل حزب الشعب بين جناح رياض الترك ورفاقه والجناح الآخر (القيادة المؤقتة): فؤاد إيليا ود. عبد الله تركماني وفهمي يوسف وغيرهم. والذين لم يرتق مؤتمرهم إلى الصيغة القديمة حتى في التمثيل، مكرّراً عقلية الاحتواء والاحتكار نفسها.

الاتحاد الاشتراكيّ العربيّ الديمقراطيّ (د. جمال الأتاسي)

كان موقفه متحفظاً، إلى حدٍّ ما، وغير جذريٍّ تجاه الثورة. ولربما يعود ذلك إلى خلطه بين الداخليّ والخارجيّ ودعمه السابق لتيار «المقاومة والممانعة». وأصبح هذا الحزب، برئاسة حسن عبد العظيم وقتها، أحد أبرز مؤسّسي هيئة التنسيق الوطنية.

وعقب اندلاع الثورة انشقت عن الحزب مجموعةٌ عرفت باسم التيار الشعبيّ الحرّ (التيار الشعبيّ الناصريّ سابقاً)، برئاسة د. خالد الناصر، إثر خلافاتٍ سياسيةٍ ومصلحية. وانضمّ التيار إلى التشكيلات المعارضة، كالمجلس الوطنيّ والائتلاف، ودعا إلى دعم الجيش السوريّ الحرّ. لكنه لم يستمرّ أكثر من سنتين حتى تفجّر إلى تيارين: واحدٍ بالاسم القديم نفسه، والآخر أضاف إليه لاحقة الأمانة العامة، ومن شخصياته د. محيي الدين بنانة (وزير التربية السابق في الحكومة السورية المؤقتة). وبالطريقة نفسها كانت بداية الإعلان عن الانشقاق تبادل الاتهامات بالفساد وعدم الأهلية لتمثيل الثورة.

ما تخفيه تلك الانقسامات، وترفض الحديث عنه وتغلفه بخلافاتٍ سياسيةٍ تتعلق بالثورة، وصولاً إلى اتهاماتٍ كبيرةٍ بالديكتاتورية والفساد وغيره؛ أنها كانت وما تزال أحزاباً عقائديةً بعيدةً عن العمل السياسيّ، تدور في فلك العقل الثنويّ: المؤيد لها والمعارض، وبالتالي يكون خطابها مديحاً أو هجاءً بلا تحليلٍ عقلانيٍّ لمجريات ووقائع الحاضر، إضافةً إلى أنها أحزابٌ من نوع «أحزاب القيادة» المنسوبة -إن لم يكن المملوكة- لقائدها. ناهيك عن طرق تواصلها وما تخلقه من ولاءاتٍ شخصيةٍ بعيدةٍ كلّ البعد عن مفهوم الحزب بالمعنى الحديث من جهة أنه جماعةٌ تمارس السياسة بشكلٍ حرٍّ وديمقراطيّ، يتفاعل فيها الأعضاء بالتعبير عن آرائهم بكلّ حرية، ويتداولون المراكز عبر الكفاءات. وتتجلى كلّ هذه العيوب في حالات الانشطار الواقعة.

كلّ الدروب تؤدّي إلى الرياض

بكر صدقي

يمكن الحديث، بلا مجازفةٍ كبيرةٍ، عن «ظاهرةٍ سعوديةٍ» تتبلور أمام أنظارنا منذ أشهر. من المبكر الحكم على هذا التضخم السعوديّ كدورٍ إقليميٍّ وعربيٍّ آخذٍ في التشكل وفي توسيع مجال نفوذه في موازين القوى المضطربة في هذه المنطقة من العالم. جلّ ما يمكننا الآن هو وصف وتسجيل مفردات هذه الظاهرة الجديدة كلّ الجدّة، ومقارنتها بتجارب سبقتها. فقد اتسمت السياسة السعودية التقليدية بالمحافظة والحذر، واعتمد نفوذها، عموماً، على «القوّة الناعمة» المالية والأيديولوجية القائمة على ثروةٍ نفطيةٍ كبيرةٍ وعقيدةٍ سلفيةٍ (الوهابية) مع براغماتيةٍ في السياسة والعلاقات الدولية. بكلماتٍ أخرى كانت السعودية تمارس نفوذها الكبير على الدول والمجتمعات من خلال القوّة المالية والأيديولوجيا الإسلامية التي تستمدّ منها السلالة الحاكمة مشروعيتها.

تعاملت السعودية مع موجة ثورات الربيع العربيّ بحذرٍ وتوجسٍ شديدين. ويُسجّل عليها أنها أمّنت للدكتاتور التونسيّ المخلوع ملاذاً على أراضيها، كما وفرت العلاج لدكتاتور اليمن علي عبد الله صالح في مستشفياتها، وأعادته إلى صنعاء لتفاوضه على حلٍّ وسط ملغوم ما زال اليمنيون يدفعون ثمنه إلى اليوم. ولعبت دوراً سلبياً في الثورة السورية من خلال التشجيع على التسلح والأسلمة، من موقع خصومتها المزدوجة لنظام بشار الكيماويّ من جهةٍ، وللثورة الشعبية السلمية من جهةٍ ثانية، خشية انتقال عدوى الثورات إلى السعودية نفسها وباقي دول المنظومة الخليجية. وعلى الصعيد الدبلوماسيّ بذلت القيادة السابقة جهوداً كبيرةً في إطار الجامعة العربية وفي الأمم المتحدة بحثاً عن حلٍّ وسط شبيهٍ بالحلّ اليمنيّ يوقف نزف الدم في سوريا، لكن رفض النظام الكيماويّ لأيّ حلٍّ سياسيٍّ أفشل تلك الجهود، فلم يبق أمام السعودية إلا مواصلة الدعم العسكريّ لفصائل معينة. وفي مصر استثمرت القيادة السعودية السابقة في الحنق الشعبيّ على حكم الإخوان المسلمين، فأيدت انقلاب السيسي الذي شكل ارتداداً خطيراً على ثورة 2011.

يمكن القول إن الروائز الرئيسية لتحديد السياسات الإقليمية للسعودية هي خطر التمدد الإيرانيّ، وخطر جماعة الإخوان المسلمين التي بدت بديلاً محتملاً للأنظمة الدكتاتورية في بلدان الربيع العربيّ. وهذا ما يفسر التباين السعوديّ مع المحور القطريّ - التركيّ الذي دعم الاتجاهات الإخوانية في الثورات العربية.

مع انتقال السلطة، في شباط العام الحالي، إلى الملك سلمان بن عبد العزيز، حدثت تغيراتٌ كبيرةٌ بالقياس إلى تاريخ السلالة الحاكمة، فتغيّرت نخبة الحكم بكاملها على وجه التقريب، بما في ذلك وجوهاً أبديةً كالأمير بندر بن سلطان ووزير الخارجية المزمن سعود الفيصل. ولم يمض أكثر من شهرٍ واحدٍ على هذا التغيير «الانقلابيّ» حتى انطلقت «عاصفة الحزم»، وهو الاسم الرسميّ للحرب السعودية على الحوثيين والقوات الموالية للمخلوع صالح، مع غطاءٍ من تحالف عشر دولٍ عربية، ومباركةٍ أميركيةٍ وسكوتٍ روسيّ.

وإذ طبّعت القيادة الجديدة علاقات المملكة مع كلٍّ من قطر وتركيا، انتقل الملف السوريّ، تدريجياً، إليها. وصولاً إلى تكريس الوصاية السعودية المطلقة على المعارضة بعد مؤتمر الرياض، وسط تأكيداتٍ متكرّرةٍ من وزير الخارجية عادل الجبير بأن «على الأسد أن يرحل بالمفاوضات أو بالقوّة»، وذلك في مواجهة تمسك كلٍّ من موسكو وطهران برجلهما في دمشق، وميوعة الموقف الأميركيّ والأوروبيّ من هذا الموضوع.

كانت السعودية قد تمكنت من استصدار قرارٍ من مؤتمر القمة العربيّ الأخير، أواخر آذار الماضي، بتشكيل قوّاتٍ عربيةٍ مشتركة، في الوقت الذي كانت طائرات التحالف العربيّ الذي تقوده تضرب مواقع الحوثيين وصالح في اليمن. لكن انقسام الدول العربية إلى محاور عدّةٍ حول الصراعات الدائرة في الإقليم حال دون تنفيذ القرار المذكور.

نقطةٌ أخيرةٌ لافتةٌ في السياسة السعودية الجديدة، هي عدم صدور اعتراضٍ قويٍّ منها على التدخل الروسيّ المباشر في سوريا. هناك تعتيمٌ كاملٌ على التوافقات والتباينات السياسية، في الشأن السوريّ بصورةٍ خاصّة، بين موسكو والرياض. فالعلاقات بين العاصمتين شهدت صعوداً لافتاً منذ توقيع الدول الغربية وإيران على التسوية بشأن الملف النوويّ. وظهر من ثمرات العلاقة الجديدة بين الجانبين عدم استخدام موسكو حق النقض في مجلس الأمن عند التصويت على القرار بشأن اليمن الذي منح الشرعية لعاصفة الحزم. أما في سوريا فلم يتسرّب أيّ شيءٍ عما يمكن أن يكون الطرفان اتفقا عليه وراء الأبواب المغلقة. فقط تسرّب خبر زيارة علي مملوك إلى السعودية بتنسيقٍ مباشرٍ مع موسكو.

لا تغيير كبير في الاتجاه العام للسياسة السعودية، لكن التغيير كبيرٌ في الفاعلية السعودية لفرض نفسها كلاعبٍ اقليميٍّ كبير. فباتت لا تتردد في التدخل السياسيّ والعسكريّ المباشر حيثما تطلب الأمر من وجهة نظر مصالح الدولة. هذه الاندفاعة لا تشبه أبداً الطابع المحافظ للسياسة التقليدية للسعودية، بل تشبه السياسات التدخلية لأنظمةٍ عربيةٍ من نوع نظام صدام العراقيّ أو حافظ أسد السوريّ أو مصر عبد الناصر.

هل يسمح «النموذج السعوديّ» بسياسةٍ تدخليةٍ نشطةٍ من هذا النوع؟ يتطلب هذا السؤال تناولاً مستقلاً لا يتسع له المجال هنا.

أبجـدية للشـهود الصامتين

سهيل نظام الدين

تجلس أم محمد في زاوية غرفة حُشر فيها كلّ ما يمكن أن يشكل أساسيات أثاث منزل قابل للترك في أيّ لحظة. وللدقة لا نتحدث هنا عما يمكن أن يسمّى أثاثاً بالمعنى السائد، إنها مجرّد فرش إسفنجية قديمة، ومجموعةٌ صغيرةٌ من أدوات الطبخ، وثيابٌ مستعملةٌ علقت على الجدران الكالحة بمسامير، وستارةٌ منَ عدّة طبقاتٍ من الجرائد.

مرحبا بكم في بيت أم محمد الجديد في منفاها الأخير بأحد جرود لبنان.

«أم محمد» سيكون لقب سيدةٍ في عقدها السابع. وهي مواطنةٌ سوريةٌ من الشرق الذي تبدلت عليه جهات السيطرة عدّة مرّاتٍ خلال السنوات الأربع الماضية. لأم محمد اسمٌ في الحقيقة، لكننا سنكتفي هنا بهذا الوصف؛ لأنها تركت حقيقة اسمها ووضعها الاجتماعيّ في دير الزور التي غادرتها منذ الاجتياح الثاني لقوّات النظام للمدينة المدمّرة.

لا ينطبق هذا على جارتها وصديقة عمرها أم رياض، التي لم تعد تعرف عنها شيئاً منذ أن نزحت الأخيرة وأسرتها إلى الرقة أيام الاجتياح الأول صيف 2011. وكان آخر ما سمعته كلٌّ منهما عن الأخرى أن أم محمد وجدت بيتاً معقولاً في قدسيا وأن أم رياض تسكن عند أقاربها في الرقة.

وهما لا تعرفان أن الأولى طردت من الشقة، بعد عجزها عن دفع الإيجار المتضخم باستمرار، ثم فرّت وأبناءها وأحفادها إلى لبنان، بعد أن اختنقت المنطقة بحصارٍ يعُدّ عليهم أرغفة الخبز ورشفات الماء، بينما عادت أم رياض إلى دير الزور لتهجرها مرّةً أخرى إلى الرقة ومنها إلى الحسكة بعد اجتياحها من داعش، قبل أن تعود مجدداً إلى الدير لتسكن في الجورة ثم تغادرها إلى تركيا هرباً من حصارٍ أشد هولاً مما عانته صديقتها.

الصديقتان العجوزان شخصيتان افتراضيتان في هذه المقالة. لكنهما، في ما يعدّ واقعاً، موجودتان في كلّ بيتٍ أو شبه بيتٍ يسكنه نازحون ولاجئون. وهما من بين مئات الآلاف ممن يعدّون شهوداً على انجراف المجتمع نحو هاوية الفقر والتشرّد والتفكك.

لا تشبه مجموعة «الدراقيع» التي تشكل عدّة الحياة اليومية في غرفة أم رياض الحالية شيئاً مما كانت عليه حالها قبل خمس سنوات؛ حين كانت تتحكم ببيتٍ واسع، وشبكة علاقاتٍ اجتماعيةٍ آمنة، ونفوذٍ اعتباريٍّ على ثلاثة أجيالٍ من أسرتها الكبيرة. لكن حياتها السابقة، وكي لا نتسرّع في إطلاق الأحكام، لم تكن بهذا الصفاء المطلق. فقد كانت تختزن، على مدى ثلاثين عاماً، حزناً ثقيلاً على ابنها الشاب الذي اعتقل -لخمس دقائق كما قيل لها آنذاك- في الثمانينات ولم تعرف عنه شيئاً حتى الآن، وهي شبه متأكدةٍ أنه قتل في مذبحة سجن تدمر الشهيرة.

هذا ما تعتقده أم رياض أيضاً بخصوص اثنين من أحفادها، أحدهما اعتقل في بداية الثورة، وسمعت همساً بين أعمامه أنه شوهد مرّةً كضحيةٍ لأحد التفجيرات في دمشق ومرّةً كأحد ضحايا مذبحة التعذيب في صور قيصر، أما الآخر فقد اضطرّت ومن معها من أبنائها وبناتها إلى تركه في معدان خلال رحلة النزوح الأخيرة، بعد أن قرر عناصر الحسبة في داعش أنه في حاجةٍ إلى دورةٍ شرعية. وهي لا تريد شيئاً من دنياها سوى أن تموت قبل أن تراه ذبيحاً بزيٍّ برتقاليٍّ في أحد إصدارات داعش، أو جثةً ممزقةً تحت موقع دمرته طائرات التحالف.

لم تعد «الحبابتان» كما كانتا. في الواقع لم يعد أيّ شيءٍ كما كان. وهما تنخرطان مرغمتين، ككلّ العجائز، في منظومةٍ اجتماعيةٍ واقتصاديةٍ قسرية، منظومة ستجعل كل المفاهيم المؤسِّسة لما اعتادتا أنها قيمٌ عليا قيد المراجعة الدائمة مع كلّ تبدلٍ طاحنٍ يلاحق حياة الأجيال السورية الحالية ويعيد تركيب علاقاتها.

بات عليهما -في عقدهما السابع- أن تتكيفا مع بيئة نافرة لا تسمح لهما بممارسة ذات الحضور الاعتباريّ عالي التقدير اجتماعياً. ولا يعود هذا أساساً إلى تغيّر في الموقف الاجتماعيّ منهما ومن أمثالهما بقدر ما هو انعكاسٌ لتغيّر عميق في طبيعة أولويات من كانت العلاقة بينهم وبين أم محمّد وأم رياض قائمةً على تبادل الولاء والرعاية تحت سقف قيميٍّ صارم.

تنال حكايا الجدات في دير الزور، وفي سوريا عموماً، موقعاً خاصاً في الإرث المحكيّ. وهنّ، عادةً، نماذج للقوّة المُحبة -لا يزلن طبعاً- لكن الأبناء والأحفاد الذين سحقت الحرب حياتهم، لم يعودوا قادرين على متابعة هذا النسق من العلاقة، ولم تعد الجدات والأجداد اللاجئون والنازحون قادرين كذلك على الإحاطة بموقعهم السابق كمركز لجمع العائلة.

صارت التفاصيل الصغيرة التي كانت تنظم العلاقة وتتيح المحافظة على الإرث العريق للزواج والطلاق والمناسبات الاجتماعية الأخرى أمراً متعذراً للغاية. لم تعد فرصة الاستمتاع المتعالي بثرثرات الأبناء والأحفاد، والانخراط الحكيم في حل مشاكلهم، قائمةً دائماً. فالكلّ لاجئون ومشرّدون، يعانون ذات الوقائع القاسية التي لا تفرّق بين جيل وآخر.

وفي حكايتنا النموذج صار على أم محمد التي كانت لا تضيّع فرصةً للتباهي بمصاغها الذهبيّ الهائل، أن تجد حلاً لمعادلة يومية مستحيلة تتعلق بعدم كفاية الطعام. كما أن صديقتها تواجه معضلة تدفئة جسدها النحيل في مواجهة أنانية غريزية للأطفال الذين ينهش الصقيع التركيّ بشرتهم الغضة.

هناك رجالٌ ونساءٌ مسنّون عادوا إلى ممارسة أنشطة عملية صغيرة وبدائية؛ لتوفير أيّ معونة ممكنة لأسرهم، بينما تثقل معاناة طوابير انتظار المساعدات الإنسانية شيخوخة القسم الأكبر منهم بتعب ما كان في الحسبان.

من ناحيةٍ أخرى، قد لا تكون مرئيةً بوضوح حالياً، لكنها ستؤثر بقوّة على طبيعة العلاقات الاجتماعية والأسرية في سوريا مستقبلاً؛ لم يعد للآباء والأمهات -وتبعاً الأجداد- ذات النفوذ السابق على أحلام أبنائهم. وباتت أحلام الهجرة واللجوء في أوروبا، والتي لا يمكن السيطرة عليها، بديلاً لمواعظ الدراسة والتفوّق ودخول الجامعة. وانتهى عملياً النفوذ الهرميّ لشبكة العلاقات العتيقة إلى وسائط تواصل اجتماعية ورسائل اطمئنان باردة على الواتساب لا يمكن للطرف الراعي أن يخرج فيها عن سطوة «آخر ظهور».

قلنا إن أم محمد وأم رياض لا تعرفان شيئاً عن أحوال بعضهما، وهذا سينطبق بدرجاتٍ متفاوتة على أقاربهما من الدرجة الثانية وما بعد. الحرب تحيل الحياة نفسها إلى همٍّ يوميٍّ يبدّد أيّ فرصة لاهتمام آخر.

تسحب الحربُ أبجدية العلاقة بين الأجيال إلى ترميزاتٍ جديدةٍ لا تملك أم محمد وأم رياض، ومن في عمرهما، وقتاً كافياً لإعادة تعلمها. ستلوذان، كما غيرهما، بأملٍ مشروخ بالعودة إلى بيتين تعرفان أنهما دمّرا تماماً أو إلى مساحة قبرٍ في أكناف دير الزور.

ستنتميان طوعاً إلى فرقة من الشهود الصامتين على تبدّل في الوعي لا يناسب عمريهما ولم تعودا قادرتين على وقفه. ستريان أعاصير من الأحلام الشابة تترنح بين الثورة والحرب، أحلام شباب وأطفال حملوا مدنهم وركبوا البلم للبحث عن ما يناقضها في برد ألمانيا والسويد، أو أحلاماً أكثر عناداً لمن يريدون بناء دير الزور جديدةٍ تماماً لا تعرفان إن كانتا ستحبانها لكنهما لا تريدان الآن سوى حقهما بالموت فيها.

الكُرد السوريون والحراك الديمقراطيّ

محمد عثمان

أصدر فاروق حجي مصطفى كتابه هذا، عام 2012، عن الدار العربية للعلوم (ناشرون) ببيروت. ويعدّ أحد التعبيرات اللافتة عن الصوت الكُرديّ في الثورة السورية.

يرى المؤلف أن الثورة مناسبةٌ مهمّةٌ لفتح سيرة تاريخ الكُرد في سوريا، ومع السوريين، هذه السيرة المثقلة بالعتاب واللوم من قبل الكُرد وبالعكس. ولا يتحمل الطرفان مسؤوليّة هذا اللوم والعتاب إنّما الاستبداد الذي دفع الناس إلى أن يستندوا إلى عصبياتهم القوميّة والدينيّة. واثقاً من أن الثورة ستحقق الشراكة الحقيقيّة وبناء دولة المواطنة الحقّة، وعندها يُفترض بالمكونات الثقافيّة والسياسيّة للشعب السوريّ أن تتحرّر من عصبياتها.

فالكُرد من المكونات الأساسيّة للنسيج المجتمعيّ، وقد شاركوا تاريخياً في بناء الدولة. وتراوح سقف مشاركتهم بين من كانوا في موقع صنّاع القرار وتبوأوا مناصب عليا من رئاسة الجمهورية إلى رئاسة الحكومة وقيادة الثورات، ومن كانوا في موقع المقاومة مع الجماهير. وقد أراد الكُرد في كلّ مراحل حياتهم السياسية أن يكونوا جزءاً طبيعياً وقانونياً من النسيج السياسيّ والاجتماعيّ والاقتصاديّ السوريّ، من خلال العمل على إعادة مذاق التلاحم والدور الذي كانوا يتمتعون به وفقدوه على حين غرّة نتيجة الظروف الاستثنائيّة التي حكمت سورية بعد سبعينيات القرن المنصرم. وأصبح هذا المذاق التلاحميّ هاجساً كُردياً ومطلباً ملحاً فناضلوا، كقوىً على الأرض، من أجل أن يكونوا جزءاً من الحياة السياسية السورية.

وقبل الثورة ترجمت الحركة الكُرديّة الأساسيّة نشاطها بوصولها مع القوى العربية وغير العربية السورية إلى عدد من التفاهمات سمّيت «إعلان دمشق». ووجد الكُرد نصيبهم الخاصّ من مبادئ الإعلان في بندين؛ واحد يخصّ الأقليات القومية يقول بضمان حرية الفرد والجماعات والأقليات القومية في التعبير عن نفسها والمحافظة على دورها وحقوقها الثقافية واللغوية واحترام الدولة لتلك الحقوق ورعايتها في إطار الدستور وتحت سقف القانون. وبند خاصّ بالقضية الكُرديّة يقول بضرورة إيجاد حل ديمقراطيٍّ عادلٍ لها يضمن المساواة التامة للأكراد السوريين مع بقية المواطنين من حيث الحقوق الثقافية وتعلم اللغة القومية وبقية الحقوق الدستورية والسياسية والاجتماعيّة والقانونية على قاعدة وحدة سوريا أرضاً وشعباً، ولا بد من إعادة الجنسية وحقوق المواطنة للذين حرموا منها وتسوية هذا الملف كلياً.

ليس الأسد، بل المجالس المحلية هي الردّ على داعش

ألكساندر ستاريت
الغارديان/ 14 كانون الأول
ترجمة مأمون حلبي

في حين نقوم بقصف تنظيم الدولة الإسلامية، ويدافع بوريس جونسون علناً عن دعم الأسد من أجل الاستقرار، نتجاهل الناس الذين يديرون في هذا الوقت الشكل الوحيد لسوريا الذي ليس شكلاً ديكتاتورياً، ولا خلافةً إجرامية، ويُمثّل ردّاً على كليهما.

في «المناطق المحرّرة»، الواقعة تحت سيطرة هشّة للمعارضة المعتدلة، لم يكن ثمّة وجودٌ، عملياً، لحكومة مركزية منذ الثورة التي اندلعت قبل أكثر من أربع سنوات خلت. في هذا الفراغ ظهرت المجالس المحليّة على مستوى القاعدة الشعبية، مقدّمةً خدماتٍ عامةً أساسيةً كالماء والكهرباء والتعليم والرعاية الصحيّة. في هذا العام انتُخِبَ كلّ مجلس محافظة في هذه الشبكة بطريقة ديمقراطية (رغم وجود بعض العيوب والتناقضات). وحقيقة أن هذا الأمر قد حدث في بلدٍ يفتقر إلى تقليدٍ ديمقراطيٍّ حيٍّ، ويحكمه حزب البعث منذ عام 1963، هي أمرٌ لافتٌ ومدهش. وسط الحرب تحاول المعارضة المعتدلة أن تبني دولةً انطلاقاً من القاعدة، معتبرةً نفسها واضعة الأساسات التي يمكن للسوريين ذات يوم أن يشيدوا عليها حكومةً مسؤولةً أمام الشعب. وعملها يعني أن المعركة من أجل سوريا ليست منازلةً بين الأسد وداعش كما نفكر في الغرب.

وبالرغم من أنّ وزارة الخارجية الأمريكية خصّصت للمعارضة بالأمس القريب 100 مليون دولار إلا أنّ وضع هذه المجالس، دون مبالغة، يبقى عصيباً. يتعلق جزءٌ من المشكلة بمسألة إيصال النقود، لأنّ المصارف غير مرتاحة لفتح حساباتٍ جديدة، ووزارة الخارجية تخشى –وهو أمرٌ مفهومٌ– أن تنتهي أكياس المال في أيدي أعدائها. من الوارد، إلى حدٍّ كبير، أن نتصوّر الدعم من زاوية المساعدات الإنسانية، ومع أنّ هذا الأمر مسألة حياةٍ أو موت، إلا أن المعارضة المعتدلة هي بالتأكيد من يتوجّب علينا أن نقوّيه إن أُريد لسوريا أن تصبح بلداً قابلاً للحياة من جديد. وهذا أمرٌ حاسم، لأنه بعد أربع سنواتٍ من البؤس والفوضى يريد الناس ببساطةٍ أن يذهبوا إلى أيّ مكانٍ تكون الأمور فيه مستقرّةً وأطفالهم يستطيعون ارتياد المدرسة، كما قال لي عضو مجلس محليّ: «يذهب المرء إلى أيّ مكانٍ يجد فيه ملاذاً آمناً». يتمثل أحد الحلول في الفرار من البلاد. لكن، كما أكد تقريرٌ نُشر في الغارديان، حتى تنظيم داعش يحاول أن يبني بديلاً مقبولاً لدى الناس؛ دولة تؤدي وظائفها وتمتلك «كوادر إدارية». وبوصفنا لداعش على أنها طائفةٌ مغلقةٌ ومتعصّبةٌ فقط فإننا نقلل من مقدار جدّيتها. ففي الرقة لدى داعش «مكتب حماية المستهلك»، ويُقال إنها قد بنت معملاً لإنتاج البوظة كجزءٍ من خطةٍ تبغي خلق فرص عمل.

في الصراع من أجل الشرعيّة يتمّ انتقاء المجالس المحليّة من قِبل كلٍّ من داعش والأسد كهدفٍ للهجمات. أخبرني مسؤولٌ في منظمةٍ غير حكومية يعمل مع المجالس المحليّة عن الاغتيالات التي لا تتوقف، وقال بكل فخرٍ إنهم كانوا «رقم اثنان على قائمة الكراهية لدى داعش» بعد التحالف الذي تقوده الولايات المتحدة. عضو مجلس محليٍّ في درعا، الواقعة جنوب البلاد، حكى لي عن قواتٍ نظاميةٍ تحاول قصف أماكن اجتماعاتهم: «كنت هناك عندما استُهدِف المكان بقصفٍ جويّ، ليس مرّةً أو مرتين، بل أكثر من عشر مرّات. لحسن الحظ، إن لم يُصب المرء بشكلٍ مباشرٍ فإنه يَسلم».

من المحتمل أن إلقاء قنابلنا على داعش، كما حاجج هيلاري بن في مجلس العموم، سيلحق الضرر بقدراتها العسكرية بشكلٍ مفيد، لكنّ النصر الوحيد الذي يمكن أن يدوم سيتحقق عندما، في المقام الأول، نُنهي الفوضى التي سمحت للتنظيم أن يزدهر. وبما أننا غير راغبين، وبطريقةٍ مخجلة، في قبول السوريين في بلادنا، فتلك هي أيضاً الوسيلة الوحيدة لجعلهم يتوقفون عن الهجرة إلينا. لإنهاء حالة الفوضى، فإن المطلوب هو بنيةٌ تحتيّةٌ وخدماتٌ عامةٌ وحكومةٌ فعّالة، وهذا ما قد يدفع أناساً على شاكلة جونسون للتطلّع إلى الأسد بصفته الشخص الأمثل لتقديم استقرارٍ يُقصي داعش. لكن إن حصل هذا فتلك خيانةٌ للأمور التي نؤمن بها، خصوصاً لأن أعضاء المجالس هؤلاء من المُرجّح أن يُصابوا بإحباطٍ شديدٍ إن أمسك بهم النظام ثانية. لكن، بالإضافة إلى ذلك، المجالس حلفاؤنا الطبيعيون، وهم حلفاؤنا بالفعل، ولا يمكننا أن نستمرّ في تجاهل الناس الذين يحاولون بناء ذاك النوع من سوريا الذي نُريده.

لو أن بلدنا أمضى قدراً من الوقت يتكلم فيه عن المجالس المحليّة بقدر الوقت الذي يتكلم فيه عن وحشية دولة الخلافة لكان من الممكن أن نجد طريقةً نقدّم لهذه المجالس من خلالها مزيداً من المساعدة المجدية.

آل الأسد:
أربعة أيامٍ من حزن دريد

3/كانون الأول: يفاجئنا دريد رفعت الأسد بمنشور مقتضب وغامض على صفحته على الفايسبوك Douraid Alassad يقول: «الشاب جمال كفاح الأسد في ذمة الله..». تنهال اللايكات والتعازي، دون أن يفصح أحد المعلقين عن سبب الوفاة أو يتساءل عنه. وكما يفعل دريد تنشر صفحاتٌ مواليةٌ الخبر دون أيّ معلومات!

لمعرفة ما حدث يجب اللجوء إلى الأخبار الشفوية أو الاستعانة بالصفحات المشاركة في سفك الدم الأسديّ. ومن هناك نعلم أن القتيل قد لقي مصرعه في محطة وقودٍ في القرداحة، مسقط رأس العائلة و«عرينها». أما بعد ذلك فتختلف الروايات بين من يقول إنه قتل نتيجة تصفية حساباتٍ بين أبيه، الشهير بتجارة المخدرات، وبين منافسين ربما يكونون من آل شاليش، أقارب آل الأسد وشركائهم في بعض مشاريع التنمية المستدامة هذه؛ وبين من يقول إن «شهيد الكازية» قد أردي ببساطةٍ نتيجة شجارٍ على الدور فيها أراد أن يتخطاه، مما يذكّر بحادثة ابن عمه سليمان بن هلال الشهيرة، عندما قتل

مؤخراً عقيداً في جيش النظام لأنه تجاوزه بالسيارة. أما أكثر الروايات تهذيباً فتقول إن جمال قتل أثناء لعبه بالأسلحة النارية مع صديقه جعفر ابن تاجر الحبوب المخدّرة محمد شاليش.

4/كانون الأول: يبدو أن وراء الحادثة سبباً يثير غضب الأسود لم يستطع الحكيم الإفصاح عنه فصبّ حنقه على من «أعجبوا» بمنشور النعي، قائلاً: «عدد الأفراد يلي حاطين (لايك) على موضوع وفاة جمال حوالي 450 فرد. عدد الأفراد يلي مسجلين تعليقات حوالي 211 فرد. عدد الأفراد يلي حاطين (لايك) من خارج قائمة الأصدقاء حوالي 50 إلى 60 فرد، وهؤلاء غير مشمولين بهذه الملاحظات باعتبار أنهم لا يستطيعون تسجيل تعليقات. بمعنى آخر هنالك حوالي 180 فرد من (الأصدقاء) و(الصديقات) حاطين (لايك) من دون أن يسجلوا أيّ تعليق !!ادخلكون هدول شو قصتهون؟؟!! ليكونوا مبسوطين مثلاً؟

وعليه فإن كل من وضع (لايك) من دون أن يسجل كلمة لن يكون من بين الأصدقاء!».

5/كانون الأول: ما إن ينهي دريد نشرة الأفراد السابقة، الصادرة عن هيئة أركان روحه، حتى تغادره شخصية ضابط التعيينات أو مسؤول السخرة والإطعام ويرجع إلى طريقة تعبيره الأثيرة مؤخراً بالريشة، فيرسم كاريكاتيراً يسخر فيه من تعازي الفايسبوك.

6/كانون الأول: يستقر ابن رفعت نهائياً، ويتبيّن أصل العلة ودواءها فيكتب: «لكل عائلة كبيرها.... وهو القاسم المشترك لهذه العائلة بهمومها وآمالها وأعمالها وتراثها ومستقبلها... وغالباً ما يكون هو الرجل العاقل الكبير في السن... نحن.. أي كلنا.. نحتاج إلى كبير العائلة... ولا تُحسد إطلاقاً كل عائلة ليس فيها كبيرها».

تعلق إحدى الصديقات: «الله يرجعلكن كبير عيلتكن لحضن الوطن قريباً...»، وتكتب أخرى: «الله يخلي القائد ويطول عمرك وعمره يا رب».

مجلّة عين المدينة نصف شهرية سياسيّة متنوعة مُستقلة

- لا تعبر المقالات المنشورة بالضرورة عن رأي المجلة.
- ترحب المجلة بمساهماتكم غير المنشورة سابقاً.

3ayn-almadina.com
info@3ayn-almadina.com

@3aynAlmadina
/3aynAlmadina

إخماد الحرائق الناتجة عن قصف الطيران الروسي / كفر بطنا - عدسة رامي الشامي